

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ

الزُّهْدُ

للإمام أبي عبد الله القطبي
صاحب التفسير

وهو

(القسم الثالث)

من كتاب

قصر الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكذب والشفاعة

تحقيق

محمدي فخر السعيد

مكتبة الصفاية بطرابلس

٣٣١٥٨٧ ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ،
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾^(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(٣) .
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ،
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .
وبعد .

بحمد الله وتوفيقه تقوم المكتبة بإعداد سلسلة كتيبات طيبة لإحياء الفضائل
التي ربما تكون قد اندثرت في هذا الزمان على أن تكون بأسلوب ميسر كلما

(١) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء : ١ .

(٣) سورة الأحزاب : ٧١ .

أمكن ذلك ليتسنى لطالب العلم أن يستفيد منها .

ومنهجنا في هذه السلسلة :

- [١] أن تكون لعلماء السلف الصالح كلما أمكن ذلك .
- [٢] أن تكون من المخطوطات التي لم تنشر من ذى قبل .
- [٣] أو نصنف إن لم يتيسر الحصول على مخطوطات في نفس الموضوع .
- [٤] أن تتحلى بقواعد التحقيق العلمى الحديث .
- [٥] أن تكون في متناول يد الجميع من حيث الموضوعية والسهولة .

وهذه السلسلة تحت اسم « من صفات عباد الرحمن » ومن موضوعاتها :
الحياء - الورع - التقوى - الحب - التواضع - التوكل - الإيثار وحب
الخير - المروءة - الوفاء بالوعد والصدق فى العهد - الكرم والسخاء -
السماحة - العفة - صلة الرحم - القناعة - الوقار والسكينة - الإصلاح بين
الناس - طيب الكلام - وغير ذلك يسر الله إتمامه وقد يسر الله للأخ المكرم :
مجدى فتحى الحصول على مخطوطة لم تطبع من قبل ذلك للإمام القرطبى
تتضمن بعض هذه الموضوعات ، واسمها : « قصر الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة » .

فرأينا تقسيمها إلى ١ - قصر الحرص ٢ - القناعة ٣ - الزهد حيث إن
هذه الموضوعات هى الموضوعات الرئيسية وقد أفرد المؤلف رحمه الله كل
موضوع على حدة بالتفصيل فرأينا من تمام الفائدة أن تكون من ضمن « سلسلة
من صفات عباد الرحمن » وهذا الموضوع الذى نحن بصدد « الزهد » يبدأ
بالباب الثامن والعشرين من تقسيم الكتاب وينتهى بالبَاب المِثْم الأربعين .

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

وصف مخطوطة الكتاب

توجد مخطوطة هذا الكتاب في دار الكتب المصرية العامة برقم (٢١٨) مجاميع مصطفى فاضل على ميكروفيلم برقم (٥٣٣٩) . وتتألف هذه المخطوطة من (١٤٨) صفحة ، في كل صفحة (١٩) سطراً .

وخط المخطوطة رديء جداً ، وفي بعض الصفحات توجد بعض الكلمات المطموسة ، أو التي سقط عليها المداد ، فغيب معالمها .

ولقد نسب هذا الكتاب أكثر من عالم إلى الإمام القرطبي ، من هؤلاء الزركلي في الأعلام (٣٢٢ / ٥) وفي طبعة أخرى (٢١٨ / ٥) .

وزاد من نسبة الكتاب قول المصنف انظر إلى تفسير هذه الآية في كتابنا الجامع ، أو تكلمنا عن هذا الأمر بسعة في التفسير .

ولقد كتبنا هذه الكلمات على عجلة ، ولتتمام الفائدة عليك بالرجوع إلى الجزء الأول من الكتاب ففيه مزيد ، وبيان .

[illegible]

اشارة الى هذه السبعة ابوابه
 الاول في الاستدلال بها
 الثاني في وعيد الله
 الثالث في سبأ اليه
 الرابع في المسئلة مع الله
 الخامس في ما يحل من المسئلة ومن ينكح
 السادس في ما لا يحل من المسئلة
 السابع في ما لا يحل من المسئلة
 الثامن في ما لا يحل من المسئلة
 التاسع في ما لا يحل من المسئلة
 العاشر في ما لا يحل من المسئلة
 الحادي عشر في ما لا يحل من المسئلة
 الثاني عشر في ما لا يحل من المسئلة
 الثالث عشر في ما لا يحل من المسئلة
 الرابع عشر في ما لا يحل من المسئلة
 الخامس عشر في ما لا يحل من المسئلة
 السادس عشر في ما لا يحل من المسئلة
 السابع عشر في ما لا يحل من المسئلة
 الثامن عشر في ما لا يحل من المسئلة
 التاسع عشر في ما لا يحل من المسئلة
 العشرون في ما لا يحل من المسئلة

مقدمة المحقق

فهذه مقدمة بين يدي كتاب الزهد للإمام القرطبي ، نحاول بها أن نيسر مهمة القارئ في الدخول إلى الكتاب ، وتشتمل على التالي :

- ١ - بين يدي الكتاب .
 - ٢ - الزهد بين الاتباع والابتداع .
 - ٣ - كيفية الزهد وأقسامه .
 - ٤ - علامات الزهد .
 - ٥ - درجات الزهد .
 - ٦ - المؤلفات في الزهد .
- يعلم الله - عز وجل - كم حاولت الصواب ، ولكن أرى الله - تبارك وتعالى - أن يكون الكمال إلا لكتابه ، فسيحان من له الكمال ، فأرجو من الله - جلت قدرته - أن يكون عملي في هذا الكتاب رجاء ثوابه ، وأن يغفر لي ما كان من زلي ، إنه على ما يشاء قدير .
- ﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

أبو مريم
مجدى فتحى السيد إبراهيم

بين يدي الكتاب

في هذا العصر الذى تلهف الناس على الشهوات ، ونسوا لقاء الله ، ولم يعملوا على الاستعداد ليوم الرحيل ، نجد هذا الكتاب يطلب منا أن نقف ونتساءل : هل هكذا كان يحيا النبي ﷺ وأصحابه ؟ هل من الإسلام أن يشغل العبد بديناه عن آخرته ؟ ولكي يجيب كل واحد على هذين السؤالين سيجد أن الإجابة على الأول هى : إن الناس تركوا الصالحات الباقيات ، وتركوا فضائل الأعمال ، ورغبوا في الحياة الدنيا ، حتى إن البعض منهم كره الخروج من الدنيا ، وما هكذا كان يعيش الرسول - ﷺ - بل كان يدعو ربه بالليل والنهار ، وعند الأسحار ، بقوله - ﷺ - « لا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » (١) .

ومن هنا ينبع الفرق بين العهد النبوى والعصر الحديث ، الذى يسمى بعصر الصاروخ ، والذرة .

حقاً لقد وصل الإنسان إلى عالم الأفضل في التمتع والترفيه ، والفكر والاختراع ، ولكن هل ذلك يغنى شيئاً عن العمل ليوم الرحيل .

لقد انتصر أصحاب النبي - ﷺ - على الفرس والروم ، وصاروا سادة الدنيا ، ومع ذلك كانت الدنيا أحقر إلى أحدهم من أن يبيع دينه بها ، كانوا ينظرون إلى الدنيا على أنها قنطرة توصلهم إلى جنة الله ، ففازوا فوزاً

(١) أخرجه الترمذى (٣٥٦٩) في الدعوات ، والحاكم بنحوه (١/ ٥٢٨) ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله - إسناده حسن .

عظيما .

أما اليوم فلقد انتصرت الدنيا على العباد ، واستولت على قلوبهم ، وشغلهم عن معبودهم ، حتى صار الواحد من العباد لا يعرف شيئا إلا مطعمه وملبسه .
أما الإجابة على السؤال الثاني فنقول : ليس من الإسلام في شيء أن يتلهى العبد بدنياه عن مولاه . فالتعاسة والشقاء ، والضنك ، والهم ، لمن فعل ذلك ،
وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ^(١) .

ففي هذا الكتاب الذى بين أيدينا الآن نجد الإمام القرطبي - رحمه الله - يعرض لنا صورة الزهد في حياة النبي ﷺ ، وأصحابه .

ونجد فيه تفنيد شبهة أن الزاهد لا بد له أن يكون فقيرا مسكينا .
ونجد فيه الرد على من افترى على الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - وادعى أنه يدخل الجنة حبوا .
ونجد فيه الصورة المثلى للزهد والزهاد .

ونجد فيه من صور بذل الصحابة للأموال في سبيل الله ، ما يوضح لنا حقيقة أن الزهد ليس معناه أن لا تملك شيئا في الدنيا ، ولكن معناه أن لا يملكك شيء ، ولا يسيطر عليك ، ولا يحركك في هذه الدنيا ، إلا منهج الله تبارك وتعالى .

وفي نهاية الكتاب يتكلم المؤلف عن مبحث هل يجوز قبول جوائز السلطان لمن جلس يعلم العلم ، وتفرغ له .

والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة طه : ١٢٤ - ١٢٦ .

الزهد بين الاتباع والابتداع

عرّف اللغويون الزهد بأنه خلاف الرغبة ، فيقال : فلان يرغب في كذا ، وفلان يزهد فيه . والزهد في الشيء يعني بالدرجة الأولى عدم إرادته ، أما الرغبة فهي من جنس الإرادة ، ومن زهد في شيء لم يرده ، ومن رغب فيه فقد أراده .

وقد تزهد النفس في الشيء مع امتلاكها له ، وذلك لأنها في الحقيقة لا تريده ، ولكن ذلك لا يعنى أنها لا تحبه ، أو أنها تنفر منه .

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : الزهد في الشيء انتفاء الإرادة والكرهية ، بحيث لا يكون مريدًا له ، ولا كارها له ، وكل من لم يرغب في الشيء ولا يريده فهو زاهد فيه^(١) . انتهى .

وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد أن منهج الرسل يقوم أساساً على الزهد في الفضول من الدنيا ، أو جعلها غاية بدلاً من أن تكون وسيلة ، ولكن من الناحية الأخرى نجد أن منهج الزهد الإسلامى يقوم بالترغيب في كل ما رغب الله ورسوله ﷺ فيه ، ولهذا فهو أصح المناهج في مفهوم الزهد في الدنيا . فالزهد المحمود شرعاً هو ترك ما لا ينفع العبد في الآخرة ، أو كما يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - :

(الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة ، وثقة القلب بما عند الله)^(٢) .

(١) الفتاوى (١٠ / ٦١٦) .

(٢) الفتاوى (١٠ / ٦٤١) .

ومن هنا نعرف أنه ليس من الضروري أن يكون الزاهد فقيراً ، أو مسكيناً ، بل قد يكون غنياً وصاحب جاه ، لأنه - كما ذكرنا - لا منافاة بين كون العبد يملك الشيء في يده ، ومع ذلك يزهد فيه .

وما أروع خطاب المولى - تبارك وتعالى - لعباده المؤمنين : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) .

فعندما نبحث في سيرة أصحاب النبي ﷺ نجد أنهم كانوا - وذلك لدى البعض منهم - على قدر كبير من الثراء ، ولكن أموالهم كانت كلها قرى إلى الله تبارك وتعالى .

وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نفرق بين الزهد المحمود شرعاً ، والمذموم ، فالنبي ﷺ كان من أزهد خلق الله ، ومع ذلك كان لا يرد موجوداً ، ولا يتكلف مفقوداً ، يلبس ما تيسر له من أنواع اللباس من قطن أو صوف ، وكان ينكر على من أراد أن يختصي ، أو أراد الانقطاع عن الناس والحياة بحجة الزهد ، ويقول في صوت عالٍ حفظه لنا أصحابه حتى وصلنا : « والله إلى لأعشاكم ، وأتقاكم لله ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأتزوج النساء » .

نعم هذه هي سنة المعصوم ﷺ ، ومن رغب عنها فليس من أتباعه . أما ما نقرؤه أو نسمعه عن الزهد بمعنى الانقطاع عن الدنيا بترك الأهل ، والمال ، والأولاد ، فليس من الزهد في شيء ، والإسلام منه براء ، لأن الله أخبر عن رسله أنهم كانت لهم أزواج وأولاد ، والإنفاق على الأهل والولد من الواجبات الشرعية ، التي يأثم تاركها ، فكيف يكون الواجب أو حتى المستحب محلاً للزهد فيه .

(١) سورة القصص : ٧٧ .

كذلك ما يذكرونه من أن الزاهد يسيح في البلدان لغير مطلب شرعى مقصود ، ليس هذا من فعل أنبياء الله ولا أوليائه الصالحين .
وعلى نفس الوتيرة ما يقوم البعض بادعائه من تحريم بعض الأشياء التى أباحها الله ، ليس هذا من قبيل الزهد فى شىء ، ولكنه اتباع للهوى ، وحب المحمدة .
وما أحلى كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فى تعريفه للزهد ، قال :
ليس الزهد أن لا تملك شيئاً ، ولكن الزهد أن لا يملكك شىء .

علامات الزهد

أخى المسلم ...

اعلم أن العلماء قد وضعوا بعض العلامات التي ينبغي لمن زهد أو أراد أن يكون في عداد الزاهدين أن يتمسك بها ، فقالوا :

العلامة الأولى : أن العبد لا يفرح بشيء موجود ، ولا يحزن على مفقود ، وهذا مأخوذ من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾^(١) .

العلامة الثانية : أن يستوى لدى العبد منا ذامه ومادحه ، وهذه من علامات الزهد في الجاه .

العلامة الثالثة : أن يكون أنسه بالله تعالى ، والغالب على قلبه حلاوة الطاعة ، إذ لا يخلو القلب من حلاوة المحبة ، إما محبة الله ، وإما محبة الدنيا ، وكل من أنس بالله اشتغل به ، ولم يشتغل بسواه .

قيل لبعضهم : إلى ماذا أفضى بهم الزهد ؟ فقال : إلى الأُنس بالله .

العلامة الرابعة : قصر الأمل في العيش على الدنيا .

قال أحمد بن حنبل وسفيان الثوري : علامة الزهد قصر الأمل .

العلامة الخامسة : أن العبد يسخو ويجود بما لديه ، ولا ييخل على عباد الله . قال يحيى بن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود^(٢) . انتهى .

(١) سورة الحديد : ٢٣ .

(٢) انظر الإحياء (٤/ ٢٣٦) ، مختصر منهاج القاصدين (ص : ٣٤٤) .

كيفية الزهد

و

أقسامه

أما الكلام عن كيفية الزهد ، وكيف يكون كما أراد الله له أن يكون : يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : الناجي فرقة واحدة ، وهى السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ، ولا يقمع الشهوات بالكلية ، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد ، وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع ، ولا يتبع كل شهوة ، ولا يترك كل شهوة - بالقطع الشهوة المباحة - بل يتبع العدل ، ولا يترك كل شيء من الدنيا ، ولا يطلب كل شيء من الدنيا ، بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ، ويحفظه على حد مقصوده ، فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص ، والحر والبرد ، ومن الكسوة كذلك . انتهى .

أما عن أقسام الزهد من حيث الحل ، والحرمة ، والندب ، والإباحة ، والكراهة ، فلقد أجاد الإمام ابن القيم فى هذا ، وأفاد حيث يقول فى كتابه « طريق المهجرتين » :

إن الزهد على أربعة أقسام : أحدها فرض على كل مسلم ، وهو الزهد فى الحرام ، وهذا متى أخل به انعقد سبب العقاب ، فلا بد من وجود مسببه ، ما لم يتعقد سبب آخر يضاده .

الثانى : زهد مستحب ، وهو على درجات فى الاستحباب ، بحسب المجهود فيه ، وهو الزهد فى المكروه ، وفضول المباحات ، والتفنى فى الشهوات

المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن ، وهم المشمرون في السير إلى الله ، وهو نوعان :

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة ، وليس المراد تخليها من اليد ، ولا إخراجها ، وقعوده صفرا منها ، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية ، فلا يلتفت إليها ، ولا يدعها تسكن قلبه ، وإن كانت في يده ، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك ، وهى في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك ، وهى في يدك ، وهذا كحال الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز الذى يضرب بزهده المثل مع أن خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، ولا يزيده ذلك إلا زهدا فيها . والذى يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

الأول : علم العبد أنها ظل زائل ، وخيال زائر ، وأنها كما قال الله تعالى فيها : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزْيَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ (١) .

وقال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الحديد : ٢٠ .

(٢) سورة يونس : ٢٤ .

وقال الله تعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾^(١) .

وسماها سبحانه ﴿ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ونهى عن الاغترار بها ، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين ، وحذرنا من مثل مصارعهم ، وذم من رضى بها ، واطمأن إليها ، فما اغتر بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية ، وعقل حقير ، وقدر خسيس .

الثانى : علمه أن وراءها - أى الدنيا - دارا أعظم منها قدرا ، وأجل خطرا ، وهى دار البقاء ، وأن نسبتها إليها كما قال النبى ﷺ : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم ، فليتنظر بم يرجع » . فالزاهد فيها بمنزلة رجل فى يده درهم ، قيل له : اطرحه فلك عوضه مائة ألف دينار مثلا ، فألقاه من يده رجاء ذلك العوض ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها لذا زهد فيها .

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنع شيئا كتب له منها ، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها ، فمتى تيقن ذلك ، وثلج فى صدره ، وعلم أن مضمونه منها سيأتيه بقى حرصه وتعبه وكده ضائعا ، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك ، فهذه الأمور الثلاثة تسهل على العبد الزهد فيها ، وتثبت قدمه فى مقامه ، والله الموفق لمن يشاء .

النوع الثانى : الزهد فى نفسك ، وهو أصعب الأقسام ، وأشقها ، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ، ولم يلجوه .

(١) سورة الكهف : ٤٥ .

وجميع مراتب الزهد المتقدمة وسائل لهذه المرتبة ، ولكن لا يصح إلا بتلك
المراتب ، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعنٌ ، متمنٌ ،
كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سلم .

قال بعض السلف : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول . فمن ضيع
الأصول حرم الوصول ، وإذا عرف هذا فكيف يدعى أن الزهد من منازل
العوام ، وأنه نقص في طريق الخاصة ، وهل الكلام إلا في الزهد ؟ وما النقص
إلا في نقصانه ، والله الموفق للصواب . انتهى بتصرف .

درجات الزهد

تكلم العلامة السلفى ابن القيم رحمه الله عن درجات الزهد كلاماً نفيساً ، فقال :

الدرجة الأولى : هو ترك ما يشتبه على العبد : هل هو حلال ، أو حرام ؟
فالشبهات برزخ بين الحلال والحرام ، وقد جعل الله عز وجل بين كل متباينين
برزخاً ، كما جعل الموت وما بعده برزخاً بين الدنيا والآخرة ، وجعل المعاصي
برزخاً بين الإيمان والكفر ، وجعل الأعراف برزخاً بين الجنة والنار .
ولا يكون - أى ترك ما يشتبه - إلا بعد ترك الحرام .

الدرجة الثانية : الزهد فى الفضول ما يفضل عن قدر الحاجة ، فيزهد فيما
وراء ذلك ، اغتناماً لتفرغه لعمارة وقته .

وعمارة الوقت : الاشتغال فى جميع آثائه بما يقرب إلى الله ، أو يعين على ذلك .

الدرجة الثالثة : الزهد فى الزهد ، أى : احتقاره ما زهد فيه ، فإن من
امتلاً قلبه بمحبة الله وتعظيمه ، لا يرى أن ما تركه لأجله من الدنيا يستحق
أن يجعل قرباناً ، لأن الدنيا بخذافيرها لا تساوى عند الله جناح بعوضة . انتهى
بتصرف ، نقلاً عن : مدارج السالكين (٢ / ١٦ - ٢٠) .

المؤلفات في الزهد

من الأمور التي تبين لنا مكانة الزهد وأهميته في الإسلام ، أن يقوم الكثير من علماء المسلمين بالتأليف في هذا الموضوع الهام ، بل إنه ما من أحد ممن نقل سنة النبي ﷺ إلا وخصص بعض الأبواب التي تتكلم عن الزهد والرقائق ، تأمل في الصحيحين ، ثم اذهب وتأمل في كتب أصحاب السنن الأربعة ، للإمام أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، ثم عُد إلى مسند الإمام أحمد ، ثم تصفح في كتب المصنفات كمصنف عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة وغيرهما .

هذا إذا تكلمنا عن من لم يخصصوا الموضوع إلا بأبواب ، أما لو ذكرنا من أفردوا الموضوع بتأليف منفردة :

- ١ - الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك ، المتوفى سنة ١٨١ هـ ، له كتاب الزهد ، مطبوع .
- ٢ - الإمام العامل المعافى بن عمران الموصلى المتوفى سنة ١٨٥ هـ ، قال الحافظ الذهبي في تذكرته : صنف المعافى في السنن ، والزهد ، وغير ذلك^(١) .
- ٣ - المحدث الحافظ محمد بن فضيل بن غزوان الكوفي توفى سنة ١٩٥ هـ ، قال الحافظ الذهبي في تذكرته : مصنف كتاب الزهد والدعاء وغير ذلك^(٢) .
- ٤ - الإمام المحدث وكيع بن الجراح ، من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ، توفى

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٨٧) .

(٢) التذكرة (١/ ٣١٥) .

سنة ١٩٧ هـ ، طبع كتابه حديثاً .

٥ - الإمام الفقيه أحمد بن محمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١ هـ ، مطبوع .

٦ - الحافظ الزاهد هناد بن السرى ، من أصحاب وكيع ، توفى سنة ٢٤٣ هـ ، طبع كتابه حديثاً .

٧ - الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد ، المعروف بابن أبى الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨١ هـ ، توجد نسخة من كتابه الزهد فى مكتبة أحمد الثالث رقم : ٥٩١ ، وعدد أوراقه ١٢٦ ورقة .

٨ - الحافظ العالم إبراهيم بن الجنيد ، المتوفى فى حدود سنة ٢٦٠ هـ ، قال الخطيب البغدادي : له كتب فى الزهد والرقائق^(١) .

٩ - العلامة القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد العسال الأصبهاني ، المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، له كتاب الرقائق^(٢) .

١٠ - الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، قال الحافظ الذهبي : له كتاب الزهد مائة جزء^(٣) . وغير هؤلاء الأعلام الحفاظ . وهذا يبين لنا أهمية الموضوع فى المجتمع الإسلامى ، والحاجة الملحة له .

(١) التذكرة (٢/ ١٤٩) .

(٢) التذكرة (٣/ ٩٨) .

(٣) التذكرة (٣/ ١٨٤) .

الزهد

للإمام أبي عبد الله القرطبي
(صاحب التفسير)

وهو

القسم الثالث

من كتاب

قصر الحرص بالزهد والقناعة
ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة

تحقيق

أبي مريم

مجدى فتحى السيد

في الزهد وبيانه

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(١) .

قال سفيان الثوري رضى الله عنه : (أحسنهم عملا) أزهدهم فيها^(٢) .
وكذلك قال أبو عصام العسقلاني (أحسنهم عملا) أترك لها^(٣) . والزهد في
كلام العرب : هو الإضراب عن المال والجاه .

قال الجوهري وغيره من أهل اللغة : الزهد خلاف الرغبة ، تقول : زهد
في الشيء ، وعن الشيء ، يزهد زهدًا ، وزهادة ، وزهد يزهد لغة فيه ،
وفلان تزهد أى : يتعب ، والتزهد في الشيء ، وعن الشيء : خلاف
الترغيب ، والمزهد القليل من المال .

وفي الحديث : « أفضل الناس مؤمن مزهد »^(٤) . والزهد القليل ،
يقال : فلان زهد الأكل ، وواد زهيد أى : قليل الأخذ للماء ، ويقال : خذ

(١) سورة الكهف : ٧ .

(٢) تفسير الجامع للقرطبي (ص / ٣٩٧٢) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الجامع الصغير (١٢٩٧) وعزه الحافظ السيوطي إلى الديلمي ، من حديث أبي هريرة ، ورمز له
بالضعف ، وضعفه الشيخ الألباني ، انظر : ضعيف الجامع برقم (١١٤١) . [معنى الحديث] :
(أفضل الناس مؤمن مزهد) أى قليل المال ، لأن ما عنده يزهد فيه لقلته ، هو اسم مفعول أى
مزهود فيه ، لقله ماله ، فهو لفقره وراثته لا يؤبه به ، ولا يلتفت إليه ، لكن نقل بعضهم أنه اسم
فاعل من أزهد في الدنيا إذا تخطى عنها العبد ، وزهد المؤمن في الدنيا يبلغه أقصى المراتب في العقبى ،
ومن ثم لما سئل عيسى عليه السلام عن رجلين مرا بكنز ، فتخاطاه أحدهما ، ولم يلتفت إليه ، وأخذه
الآخر ، أيهما أفضل ؟ قال : الذى تركه . انتهى قاله العلامة المناوى ، انظر : فيض القدير (٢ / ٥٠) .

زهد ما يكفيك أى : قدر ما يكفيك ، وفلان يزدهد عطاء فلان أى : يعده قليلاً^(١) . وكان عليه السلام أزهد الناس ، وأغناهم نفساً ، وحسبك من زهده ما أخرجه الترمذى وابن ماجه وغيرهما : عن أبى أمامة عنه عليه الصلاة والسلام قال : « عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً وفضة ، قلت : لا يارب لكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً ، فإذا جعت تضرعت إليك ، وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك ، وشكرتك »^(٢) . قال الترمذى : حديث حسن .

والزهد هو حال أبى بكر وعمر ، وعلى ، وأبى ذر ، وعثمان ، وأبى الدرداء ، وتميم الدارى ، ومن ماثلهم . وما أكثر الزهاد فى الصحابة ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، زاهدان . فلا يلتفت إلى رواية من روى أن عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا . ما يسبقه إليها أحد ، والزبير لا يعادله بشر ، وسيأتى طرق من أحوال من زهد فى الدنيا إن شاء الله تعالى . واختلفت إشارات العلماء فى الزهد .

فقال مالك بن أنس : الزهد التقوى . قال علماؤنا : يريد عن الشبهات فإنه كان له توسع فى المباحات . وقال المسيب بن واضح : سئل ابن عيينة عن الزهد فقال : أن تزهد فيما حرم الله فأما ما أحل الله فقد أباحه ، فإن النبين قد أكلوا ، وشربوا ، ونكحوا . وقال الزهرى : ليس بالتقشف ولكن بالصبر عن الشهوات . وعنه أيضاً أنه قيل له : ما الزهد فى الدنيا ؟ قال : أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك .

وقال سفيان الثورى وأصحابه : قصر الأمل ، وليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العباء . قلت : وهذا قول حسن ، فإن من قصر أمله أضرب عن الدنيا ، وعكف على عبادة المولى . وقال ابن زرارة بن أوفى بعد موته ، قلت له :

(١) انظر : لسان العرب (٣/ ١٩٦ - ١٩٧) مادة زهد .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) ، وأحمد (٥/ ٢٥٤) ، والبيهقى (٥١٩٠) فى المشكاة ، قال الشيخ

الألبانى : ضعيف جداً ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٣٧٠٦) .

رحمك الله ماذا قيل لك ، فأعرض عني قلت : ما صنع الله بك ؟ فأقبل عليّ ،
وقال : تفضل الله عليّ بجوده وكرمه . قلت : فأى الأعمال أبلغ عندكم ؟
قال : الرضا ، وقصر الأمل . وقال قوم : الزهد بغض المحمدة ، وحب الثناء .
وقلت : وهذه إشارة منه إلى ترك الدنيا كلها أحب تركها . وعنه أيضا :
الزهد في لقاء الناس . قلت : وهذه إشارة منه إلى الخلوة والتعبد ، والأنس
بالوحدة .

ولقد أحسن أبو سليمان الخطابي رحمه الله حيث يقول :

أنست بوحدي ، ولزمت بيتي فدام الأنس لي ونما السرور
وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار أو أزور
ولست بسائل مادمت حيا أسار الجليس أم ركب الأمير
وقال منصور الفقيه فأحسن :

الخير أجمع في السكوت وفي ملازمة اليوت
فإذا استوى لك ذا وذا فاقع بأقل القوت

وللقاضى أبى بكر بن العرى في هذا المعنى :

حاز السلامة مسلم يأوى إلى سكن وقوت
ماذا يؤجل بعد أن يأوى إلى بيت وقيت

والشعر في هذا أكثر ، ولقد أحسن أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفى
حيث يقول :

طرق يانفس كي أقصد فردًا صمدًا وذرينى لست أبغى غير رى أحدًا
هو حسبى وأنيسى فدعى الناس فما إن تجدى من دونه ملتحدًا

قال جعفر بن سليمان : سألت امرأة من العُبَّاد ، فقلت لها : من معك
في دارك ؟ قالت : من أناجيه معى ، فهل عليّ من وحشة بعد إذ هو أنيسى

يا عبد الله . وقال الفضيل : إذا رأيت الليل مقبلا فرحت به ، وقلت أدخلو برى ، وإذا رأيت الصبح قد أدركنى ، استرجعت كراهية لقاء الناس ، وأن يحىء من يشغلنى عن رى عز وجل .

وقيل : لا يكون زاهدا حتى يكون ترك الدنيا أحب إليه من أخذها ، قاله إبراهيم بن أدهم . قلت : وهذا القول جار مع اللغة حسب ما تقدم .

وقال رجل للحسن : إن فقهاءنا يقولون ، فقال الحسن : وهل رأيت فقيها !!! الفقيه : الزاهد فى دنياه ، البصير بدنيه ، المداوم على عبادة ربه .

وقال قوم : الزهد أن يزهد فى الدنيا بقلبه ، قاله ابن المبارك . قلت : وهذا قول حسن جدا ، وحصولها فى اليد ، أو عدم حصولها سواء ، فإن الزهد من أعمال القلوب .

وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - كانت الدنيا فى أيديهم ، وهم معرضون عنها بقلوبهم ، على ما يأتى بيانه . وقالت فرقة : الزهد حب الموت .

قلت : وهذا القول يعم جميع الأقوال بالمعنى ، فإن فى حب الموت ، حب لقاء المولى ، والإضراب عن الدنيا ، فهو أعلاها . وقد فسر النبى ﷺ الزهد تفسيرا يغنى عن قول كل قائل ؛ أخرج ابن ماجه فى سننه ، والترمذى فى الجامع عن أبى ذر الغفارى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ، ولا فى إضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى أيديك أوثق منك بما فى يد الله تعالى ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها ، أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك »^(١) . قال ابن ماجه : قال هشام بن عمار : كان أبو إدريس الخولانى

(١) الترمذى (٣٤٤٣) ، وابن ماجه (٤١٠٠) ، البغوى (٥٣٠١) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف جدا ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٣١٩٤) .

يقول : هذا الحديث في الأحاديث كمثل الإبريز في الذهب .

وقال الترمذى : حديث غريب ، وأبو إدريس الخولاني اسمه عائذ الله بن عبد الله ، وعمرو بن واقد منكر الحديث . قلت : فأشار عليه السلام في هذا الحديث إلى بابين عظيمين ؛ أحدهما : التوكل ، وقد تقدمت الإشارة إليه . والثاني : الرضا ، وهو على قسمين :

رضا عام : وهو لا يجد غير الله ربا ، ولا غير الإسلام ديناً ، ولا غير محمد رسولا ، زهد الرضا لا يخلو عنه مسلم ، إذ لا يصح التدين بدين الإسلام إلا بذلك ، وهو المراد بقوله : « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا »^(١) . أخرجه مسلم وغيره .

ورضا خاص : وهو الذى تكلم فيه أرباب القلوب ، وأحسن عبارة فيه ، ما قاله الثورى : هو سرور القلوب عند القضاء . وهو الذى أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ، والله أعلم .

وهو غاية الرضا ، فيظهر العبد التحمل عند أول المصيبة ، ويرضى ثواب الله عوضاً عما أخذ منه ، ولا يسخط شيئاً فيرد القضاء .

قال شقيق : اشتريت بطيخة لأمى ، فلما قطعها سخطت ، قلت : يا أماه على من تسخطين ؟ هل ترددين القضاء ، أو تلومين حارثها ، أو مشتريها ، أو خالقها ؟ فأما حارثها ، ومشتريها ، فوالله ما كان لهما ذنب ، فيودان أن تكون من أطيب البطيخ ، ولا أراك تلومين إلا خالقها ، فاتقى الله ولا تلوميه . قال شقيق : فوالله ما سمعت منى أمى كلاماً أنفع لها من هذا . وروى الزبير ابن بكار قال : حدثنى على بن محمد بن عبد الله قال : كتب غيلان إلى بعض إخوانه ، وقد أصيب بآبنة :

أما بعد ... فإن الله أعطاك هبته ، وجعل عليك أدبه ، ومؤنته ، وأنت

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢) في الإيمان ، وأحمد (١/ ٢٠٨) .

تخشى فتنته ، فاشتد لذلك سرورك ، فلما قبض الله هبته ، وكفأك أدبه ،
وأمنت من فتنته اشتد لذلك جزعك^(١) لهنت بما عزيت ، فإذا أذاك كتابي
هذا فاصبر على الأمر الذي لا غنى لك عن ثوابه ، ولا صبر لك عن عقابه ،
واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرحُ ثوابها حزنُها ، فذلك هو الحزن الدائم .
والسلام .

(١) بياض بالأصل ، والمعنى المراد لو أنك صبرت على هذا البلاء لهنت بما عزيت .

فيما يحمل على التملك من الدنيا والزهد فيها

وهو ثلاثة أشياء : قصر الأمل ، ذكر الموت ، وزيارة القبور . أخرج البخارى عن ابن عمر قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »^(١) .

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك .

وروى عن عبد الله بن عمرو قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خُصًّا لنا ، فقال : « ما هذا ؟ » قلنا : قد وهى ، فنحن نصلحه ، فقال : « ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك »^(٢) . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وأخرج ابن ماجه عن أنى أيوب قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله علمنى فأوجز ، قال : « إذا قمت إلى الصلاة ، فصل صلاة مودع ، ولا تكلم بكلام تعذر منه ، واجمع اليأس عما فى أيدي الناس »^(٣) . وقد تقدم .

(١) أخرجه البخارى (١١٠ / ٨) فى الرقاق ، والترمذى (٢٤٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد (١٦١ / ٢) ، وأبو داود (٥٢٣٦) ، والترمذى (٢٤٣٨) ، وابن ماجه (٤١٦٠) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح . انظر : تخرىج المشكاة (٥٢٧٥) ، صحيح الجامع برقم (٥٤٠٢) . [معانى المفردات] قوله : (نعالج) أى نصلح ، (خُصًّا) الخصى بيت من قصب ، (وهى) أى : ضعف واسترخى ، (ما أرى الأمر) أى أمر الموت .

(٣) أخرجه أحمد (٤١٢ / ٥) ، ابن ماجه (٤١٧١) ، الطبرانى (١٨٥ / ٤) فى الكبير ، وأبو نعيم (١ / ٣٦٢) فى الحلية ، والبيهقى (٥٢٢٦) فى المشكاة ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله - : حسن ، انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٤٠٠) ، وصحيح الجامع (٧٥٥) . [مفردات الحديث] : قوله (أوجز) أى اقتصر على خلاصة الأمر ليكون أسهل للضبط ، أو أذكر ذلك العلم المطلوب بكلام مختصر ، موجز لفظا ، جامع للعلم الكثير المعنى ، قوله : (مودع) أى : كن كأنك تصلى آخر صلاتك ، (يعتذر منه) أى : يحتاج منه إلى الاعتذار ، (واجمع) أى اعتقد ، واعزم .

وأخرج عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها ترهّد في الدنيا ، وتذكر الآخرة »^(١) . وقال وهيب بن الورد : بنى نوح عليه السلام بيتاً من قصب ، فقيل له : لو بنيت غير هذا ، فقال : هذا كثير لمن يموت^(٢) .

وقال ابن المهاجر : مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما في بيت من شجر ، فقالوا : يا نبي الله ، لو بنيت غير هذا ؟ فقال : أموت اليوم ، أموت غدا . وروى الترمذى عن عبد الله قال : قام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء تنام عليه !! فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها »^(٣) .

ولقد أحسن من قال :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى زوال
وما دنيك إلا مثل ظل ثم أذن بـ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧١) ، قال الشيخ الألبانى - عفا الله عنه - : ضعيف ، انظر : أحكام الجنائز (ص/ ١٨٠) ، ضعيف الجامع (٤٢٨٤) . لكن أخرجه الحاكم بلفظ : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، فإنها ترق القلب ، وتدفع العين ، وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هجرا) انظر : مستدرک الحاكم (١/ ٣٧٦) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٤٦٠) ، أحكام الجنائز (ص/ ١٧٩ - ١٨٠) .

(٢) أورده أبو نعیم (٨/ ١٤٥) في الخلية في ترجمة وهيب بن الورد . قوله : (قصب) : القصب : كل نبات ذى أنابيب ، واحدها : قصبة .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٨٣) وقال : حديث صحيح ، وابن ماجه (٤١٠٩) ، أحمد (١/ ٣٩١) ، والحاكم (٤/ ٣١٠) ، أبو داود الطيالسى (٢٧٧) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة برقم (٤٣٩) ، صحيح الجامع برقم (٥٥٤٤) . [من معانى الحديث] قوله : (مالى وللدنيا) قال القارى : ما نافية أى ليس لى ألفة ومحبة مع الدنيا ، ولا للدنيا ألفة ومحبة معى ، حتى أرغب إليها ، وأنبسط عليها ، وأجمع ما فيها .

أو استفهامية أى : أى ألفة ومحبة لى مع الدنيا ، أو أى شىء لى مع الميل إلى الدنيا ، أو ميلها إئى ، فإنى طالب الآخرة ، وهى ضررتها .

وقال آخر فأحسن :

طالب الدنيا بحرص وعجل إنما الدنيا كظل منتقل
نحن فيها مثل ركب نازل فقيل كلما أحل ارتحل

قال علماؤنا : وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي لعامل أن يُخدع بها ، ولقد صدق القائل :

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع
وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « إن أردتم أن تدرکوا ما عند الله عز وجل ، فكونوا في الدنيا نزل الأضياف »^(١) .

وروى منصور عن الحسن قال : لما حضر سلمان الموت بكى ، فقيل له : يا أبا عبد الله ما يبكيك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال : أما إني لا أبكي حزنا على الدنيا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا فتركت عهده ، عهد أن يكون بلغة أحدنا كزاد الراكب . قال : فلما مات نظروا ، فإذا نحوًا من ثلاثين درهما^(٢) . ورواه ثابت عن أنس أن سعدًا عاده فقال له : ما يبكيك يا أخى . الحديث أخرجه ابن ماجه فى سننه قال قال ثابت : فبلغنى أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده^(٣) .

وروى الترمذى قال : حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا سفيان عن منصور والأعمش عن أنى وإثل قال : جاء معاوية إلى أنى هاشم بن عتبة وهو مريض يعوده ، فقال : يا خال ما يبكيك ؟ أوجع يشترک ، أم حرص على الدنيا ، قال : على كل لا ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدًا لم آخذ به ، قال : « إنما يكفيك من جمع المال خادم ،

(١) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

(٢) حلية الأولياء (١/ ١٩٦) فى ترجمة سلمان رضى الله عنه .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٤٠٤) ، والحلية (١/ ١٩٧) .

ومركب في سبيل الله»^(١) . وأجد في بيتي اليوم قد جمعت . أخرجه ابن ماجه أيضا ، وهو صحيح .

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٤) ، (٥/ ٢٠٠ ، ٣٦٠) ، والترمذى (٢٤٢٩) ، النسائى (٨/ ٢١٨ - ٢١٩) ، وابن ماجه (٤٠١٣) ، والبخارى (٥١٨٥) في مشكاة المصابيح ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله - : حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٢٣٨٢) . [من مفردات الحديث] : قوله : (يشترك) أى يشارك ، يقال : شترك ، وشتر ، فهو مشتر ، وأشتره غيره ، وأصله الشار ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . قوله : (في سبيل الله) أى ما كان في جهاد ، أو طلب للعلم ، والسعى على الرزق ، أو الحج ، والمقصود منه القناعة ، والاكتفاء بقدر الكفاية ، بما يصح أن يكون إذا يوصله إلى الآخرة .

فضل الزهد وثمرته

أخرج ابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدي قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبنى الله ، وأحبنى الناس ؟ فقال له النبي ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس »^(١) .

وأخرج عن أبي خلاد ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدًا في الدنيا ، وقلة منطق ، فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة »^(٢) .

وقال عبد الله بن مسعود : أنتم اليوم أكثر صلاة ، وأشد عبادة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانوا خيرا منكم ، قالوا : ولم ؟ قال : كانوا أزهد منكم في الدنيا ، وأرغب في الآخرة .

وقال سفيان الثوري : إذا زهد العبد في الدنيا ، ثبت الله الحكمة في قلبه ، وأطلق بها لسانه ، وبصره بعيوب نفسه ، وجعل داءها دواءها .

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢) ، والحاكم (٣١٣ / ٤) ، والطبراني (٢٣٧ / ٦) في الكبير ، البيهقي (٥١٨٧) في المشكاة ، قال الشيخ الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٩٣٥) .
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٠١) ، وأبو نعيم (٤٠٥ / ١٠) في الحلية ، قال الشيخ الألباني : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٦٠٧) .

فى أحوال من زهد فى الدنيا

وهى ست : المقال ، اللباس ، المطعم ، والصبر على الفاقة والحاجة ، وترك السؤال ، الخمول .

فأما المقال : وهو أولها : فهو المقصود الأعظم بأن يكون قوله يوافق فعله ، وقد ذم الله تعالى فى كتابه قوما كانوا يأمرُونَ بأعمال البر ولا يعملُونَ بها فقال : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) .

وقال منصور الفقيه فأحسن (شعر) :

إن قوما يأمرونا بالذى لا يفعلونا
لجنانين وإن هم لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو العتاهية :

وصفت التقى حتى كأنك ذو تقى	وربح الخطايا من ثيابك تسطع
ما أقبح التزهيد من واعظ	يزهد الناس ولا يزهد
لو كان فى تزييده صادقا	أضحى وأمسى بيته المسجد
إن رفض الناس فما باله	يستريح الناس ولا يرقد
الرزق مقسوم على من ترى	يسعى له الأبيض والأسود

وقال أبو الأسود الدؤلى فأحسن :

(١) سورة البقرة : ٤٤ .

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
أبدأ بنفسك فانهبها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم

قال إبراهيم النخعي : إني لأكره القصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ ^(٢) .

الثانية : لباسه : نظر رافع بن ثابت رضى الله عنه إلى الأمير بالكوفة وهو يعظ فقال : انظروا إلى أميركم يعظ الناس ، وعليه ثياب الفساق ، وكانت عليه ثياب رفاق .

الثالثة : مطعمه يكون متوسطا : فتكون هذه الأحوال الثلاثة متصادقة يصدق بعضها بعضا .

الرابعة : صبره على الحاجة والفاقة : إن عرضت أو نزلت به حتى لا يظهر شيء من ذلك عليه كما أخبر عز وجل عنهم بقوله : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ ^(٣) . وهى السمة التى يعرفون بها وهى رضاهم بحكم المولى .

وقيل يقصد بالتعفف التجميل كما قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ ^(٤) فى أحد الأقوال .

وقيل : يؤثر على نفسه حتى يوهم المعطى الذى أعطاه أنه غنى وقيل : هو أن لا يدخر خوف غد .

(١) سورة الصف : ٢ .

(٢) سورة هود : ٨٨ .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٣ .

(٤) سورة المعارج : ٥ .

وقيل : هو أن لا يسأل إلا الله تعالى كما قال العبد الصالح : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ بِمِثْقَالٍ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾^(١) . المعنى أنا محتاج إلى رزق الذى كتبته لى فإن كان فأرسله إلى وارفع حاجتى .

قلت : هذا القول أحسنها إن شاء الله تعالى ، فينزل حاجته بالله تعالى ، ويظهر التجميل لغيره حتى يظنه أنه غنى . ولقد أحسن من قال :

ويسألنى صديقى كيف حالى فأؤهمه الغنى وقد جهدت
تقدم ذكرها . وقال آخر :

إنى لأكرم وجهى أن أوجهه عند السؤال لغير الواحد الصمد
وقد تقدم .

قال القاضى أبو بكر بن العرى : وقد حرم بعض الصوفية السؤال ، فقال : هو تشنيع من العبد على المولى ، وهذا جهل عظيم ، ولقد أخبرنا الله عز وجل أن من عباده غنيا وفقيرا ، وأمرنا أن نعود على الفقراء ، وذلك من حكمه وحكمته ، فأى تشنيع فى أن يخبر عن حاله التى يختص بها ، وقد أعلمنا الله تعالى بها فى الجملة .

قالوا : فيها إذلال المرء نفسه ، قلنا : وأى إذلال فى أن يحيلك مولاك بنعمة أعطاه لك على يد أخيك ، أودعها لك عنده . الذل على السؤال لا على السائل ، فهو خازنك ، إن أعطاك ما أمر به أجر ، وإن كره أو تردد أثم . قالوا : وفيها إيذاء المستول لأنه إن سمح به شق عليه مفارقة ماله ، وإن بخل فصورة مذمومة ، قلنا : شق الله عليهم ولم يخلوا بما آتاهم الله من فضله يحسبونه خيرا لهم وهو شر لهم . ورووا فى ذلك حديثا عن النبى ﷺ : « مسألة الناس من الفواحش »^(٢) . قلنا لهم : من أعظم الفواحش وأكبر

(١) سورة القصص : ٢٤ .

(٢) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

الكبائر وأشد الموبقات رواية هذا الحديث .

الخامسة : إذا كان عنده ما يكفيه فلا يسأل الله إلا قوت يوم : على حديث سهل بن الحنظلية وقد تقدم .

السادسة :- أن يكون خاملا لا يعرف : كما في حديث أبى أمامة عن النبي ﷺ « إن أغبط أوليائي عندى لمؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من الصلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه فى السر ، وكان غامضا فى الناس ، لا يشار إليه بالأصابع »^(١) . الحديث وقد تقدم .

وقال أويس القرنى لعمر : « دعنى أكون فى غرباء الناس أحب إلئى »^(٢) . أخرجهم مسلم . وكان الصالحون إذا عرفوا هربوا كما فعل أويس فإنه لما فطن به انطلق على وجهه .

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٥١) وقال : على بن يزيد يُضعفُ فى الحديث ، وابن ماجه (٤١١٧) ، أحمد (٢٥٥ / ٥) ، الحاكم (١٢٣ / ٤) فى مستدركه ، وابن المبارك (٥٤) فى الزهد ، الطبرانى (٢٤٢ / ٨) فى الكبير ، قال الشيخ الألبانى : ضعيف ، انظر : تخريج المشكاة (٥١٨٩) ، وضعيف الجامع (١٣٩٧) . [من معانى الحديث] : قوله (إن أغبط أوليائي) أى أحسنهم حالا ، وأفضلهم مآلا (عندى) أى فى اعتقادى .

(خفيف الحاذ) أى خفيف الحال ، الذى يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال ؛ قال الجزرى : الحاذ والحال واحد ، وأصل الحاذ طريقة المتن ، وهو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس ، أى خفيف الظهر من العيال .

(كان غامضا فى الناس) أى : خاملا خافيا ، غير مشهور ، فيما بين الناس .

(٢) صحيح مسلم (٩٦ / ١٦) بشرح النووى .

قوله : (غرباء الناس) أى فى أخلاطهم ، وضعافهم الذين لا يهتم بهم أحد ، وهذا إثارة لعدم الظهور .

نذكر فيه طرفا من زهد النبي ﷺ ، في عيشه ومطعمه ، وملبسه ، ومركبه . قد تقدم من حديث أبى أمامة عنه عليه السلام أنه قال : « عرض على رنى ليجمع لى بطحاء مكة ذهبا وفضة فقلت لا يارب »^(١) . الحديث . وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : كنت أمشى مع النبي ﷺ فى حرة المدينة ، عشاء ، ونحن ننظر إلى أحد ، فقال لى رسول الله ﷺ : « أباذر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : ما أحب أن لى أحدا ذاك عندى ذهب أمسى ثلاثة عندى منه دينار إلا دينار أرصده لدين ، إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله »^(٢) . وأخرجه البخارى . وأخرج الترمذى عن أبى أمامة قال : ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير^(٣) . (قال حديث حسن صحيح) . وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم الشعير^(٤) . قال حديث حسن صحيح .

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخارى (٨ / ١١٧) ، ومسلم (٧ / ٧٥) . قوله : (حرة المدينة) هى الأرض المليسة حجارة سوداء .

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤٦٤) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . قوله : (ما كان يفضل) قال فى القاموس : الفضل ضد النقص ، والمعنى المراد : لم يتيسر لهم من دقيق الشعير ما إذا خبزوه يفضل عنهم ، مما يوضح شدة حاجهم .

(٤) أخرجه أحمد (١ / ٢٥٥ ، ٣٧٤) ، والترمذى (٢٤٦٥) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٧) ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله - : حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٤٧٧١) . قوله : (طاويا) أى جائعا ، يقال : طوى من الجوع يطوى طوى ، فهو طاو ، أى : خالى البطن جائع ، لم يأكل .

وعن سهل بن سعد أنه قيل له أأكل رسول الله ﷺ النقي ؟ يعنى الحُوَّارَى ، فقال سهل : ما رأى رسول الله ﷺ النقي حتى لقي الله عز وجل . فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كانت لنا مناخل قيل : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نُثْرِيهِ فنعجنه^(١) . قال : حديث صحيح ، أخرجه ابن ماجه أيضا فى سننه . وأخرج ابن ماجه عن أم أيمن أنها غربلت دقيقا فصنعتة للنبي ﷺ رغيفا ، فقال : ما هذا ؟ قالت : طعام نصنعه بأرضنا فأحببت أن أصنع لك منه رغيفا ، قال : « رديه فيه ثم اعجنيه »^(٢) .

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعًا حتى قبض »^(٣) . وفى رواية : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض »^(٤) . وفى رواية : « خبز بر إلا وأحدهما تمر »^(٥) .

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع آل محمد من خبز برٍّ مأدومٍ ثلاثة أيام ، حتى لقي الله عز وجل^(٦) . وعنها رضى الله عنها قالت : توفى رسول الله ﷺ وما فى رَفِيٍّ من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رَفٍّ لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى^(٧) . رواه البخارى ومسلم . قلت : فقد أخبرتك عائشة رضى الله عنها بعيش النبي ﷺ زاهدًا فى الدنيا مع توالى الفتوحات وكثرة الأموال والجبايات .

-
- (١) أخرجه الترمذى (٢٤٦٩) وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٣٥) .
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٣٦) ، وإسناده حسن .
(٣) أخرجه البخارى (١٢١ / ٨) ، ومسلم (١٠٥ / ١٨) ، أحمد (٦ / ١٢٨ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧) ، ابن ماجه (٣٣٤٤) .
(٤) أخرجه مسلم (١٠٦ / ١٨) ، والترمذى (٢٤٦٢) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٣٤٦) .
(٥) البخارى (١٢١ / ٨) بمعناه ، وأخرجه مسلم (١٠٦ / ١٨) .
(٦) البخارى (٧ / ٩٨) ، والنسائى (٧ / ٢٣٦) .
(٧) البخارى (٨ / ١١٩) ، مسلم (١٠٧ / ١٨) ، الترمذى (٢٥٨٩) بمعناه ، وابن ماجه (٣٣٤٥) ، وأحمد (٦ / ١٠٨) .

وفي الصحيحين عنها - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ اشترى من يهودى طعاما إلى أجل ورهنه درعا من حديد^(١) .

وأخرجه النسائى من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال توفى رسول الله ﷺ ودعاه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير لأهله^(٢) .

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله ﷺ يوما بطعام سخن فأكله فقال : لما فرغ قال : « الحمد لله ما دخل بطنى طعام سخن منذ كذا وكذا »^(٣) .

وروى عن عروه بن الزبير أنه قال : قالت لى خالتي : والله يابنى لقد كنا نقعد أربعين ليلة ، وما توقد فى بيت رسول الله ﷺ نار ، ولا مصباح ، قال : فقلت لها وبماذا كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين : التمر والماء لا غير ذلك^(٤) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : والله لقد كنا لننظر الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقد فى بيت رسول الله ﷺ نار^(٥) . أخرجه مسلم .

وروى أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السننى الحافظ أخبرنا أحمد ابن محمود الواسطى قال حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك عن أبى الدرداء قال كان رسول الله ﷺ لا ينخل الدقيق ، ولم يكن له إلا قميص

(١) البخارى (٣ / ٧٤) ، ومسلم (١٠ / ٤٠) ، وأحمد (٦ / ٤٢ ، ١٦٠ ، ٢٣٠) .

(٢) أخرجه النسائى (٧ / ٣٠٣) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٥٠) وفى إسناده سويد بن سعيد . قال الحافظ ابن حجر عنه : صدوق فى نفسه ، إلا أنه عمى فصار يتلقن ما ليس من حديثه ، انظر التقريب (١ / ٣٤٠) .

(٤) البخارى (٨ / ١٢١) بنحوه ، ومسلم (١٨ / ١٠٧) .

(٥) انظر السابق .

واحد^(١) .

وأخرج من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما اتخذ رسول الله ﷺ من شيء زوجين لا قميصين ولا ردائين ولا إزارين إلا من النعال^(٢) .

وعن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لحفصة : أنشدك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع ثوبه ليغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوبا يخرج فيه للصلاة حتى ييس فيخرج فيه . وروى البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : كان فراش رسول الله ﷺ الذى ينام عليه أداما حشوه ليف^(٣) .

وأخرجه ابن ماجه ، وقال ضجاع رسول الله بدل فراش^(٤) ، ورواه البخارى .

وروى الترمذى عنها قالت : كانت وسادة النبى ﷺ التى يضطجع عليها من آدم حشوها ليف^(٥) . قال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج أبو داود قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا حماد عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن بعض آل أم سلمة قال كان فراش رسول الله ﷺ نحوا

(١) فى إسناده سعيد بن مسرة . قال البخارى : عنده مناكير ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ، وقال الحاكم : روى عن أنس موضوعات ، وكذبه يحيى القطان . فالإسناد موضوع ، انظر : التاريخ الصغير للبخارى (ص / ١٩٠) ، والكبير (٣ / ٥١٦) ، المجروحين (١ / ٣١٢) ، الميزان (٢ / ١٦٠) ، الجرح والتعديل (٤ / ٦٣) لابن أبى حاتم .

(٢) لم أجده فيما تحت يدى من كتب .

(٣) البخارى (٨ / ١٢١) ، ومسلم (١٤ / ٥٨) ، الترمذى (١٨١٦) وقال : حسن صحيح .

(٤) ابن ماجه (٤١٥١) .

(٥) الترمذى (٢٥٨٦) وقال : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وأبو داود (٤١٤٦) بنحوه .

مما يوضع الإنسان في قبره ، وكان المسجد عند رأسه ^(١) .

وأخرج ابن ماجه قال : حدثنا عمرو بن رافع قال حدثنا جرير عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويشيع الجنازة ، ويحيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن من ليف وتحتة إكاف من ليف ^(٢) .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل قال : كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير ^(٣) . الحديث أخرجه مسلم .

(١) أبو داود (٥٠٤٤) ، والبيهقي (٤٧١٧) في مشكاة المصابيح ، قال الشيخ الألباني : ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع (٤٤٧٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٧٩) وفي إسناده مسلم بن كيسان الأعور ، من الضعفاء ، انظر : التقريب (٢/ ٢٤٦) ، الميزان (٤/ ١٠٦) ، التاريخ الكبير للبخارى (٧/ ٢٧١) ، الضعفاء للعقيل (١٧٢٢) ، الجرح والتعديل (٨/ ١٩٢) لابن أبي حاتم . قوله : (برسن) هو الحبل الذى تقاد به الدابة . قوله : (إكاف الحمار) : برذعته .

(٣) البخارى (٤/ ٣٥) ، ومسلم (١/ ٢٣٣) .

نذكر فيه طرفاً من زهد صحابته رضى الله عنهم فأول ذلك الصديق رضى الله عنه ، قال بعض الفقهاء للشبلى مختبراً : يا شيخ كم فى خمس من الإبل ؟ فقال له : على مذهبن ، أو مذهبكم ؟ قال : وهل لكم مذهب سوى مذهبنا ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ قال : أما على مذهبكم ، ففى خمس من الإبل شاة من الغنم ، وعلى مذهبنا فَبَذْلُكُ الكل^(١) قال : وهل لك فى هذا المذهب إمام ؟ قال : نعم أمير المؤمنين أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - فإنه أتى النبى ﷺ بجميع ماله ، فقال له : ما تركت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله^(٢) . وقال فى مرضه الذى توفى فيه : رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهى جائية ، وستخذون ستور الحرير ، ونضائد الدياج وتهجرون مضاجع الصوف ، وكنتم تبيتون فى أشد الأمر على حسائك السعدان ، والله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه فى غير حد خيراً له من أن يسبح فى غمرة الدنيا^(٣) . وقيل له : يا خليفة رسول الله ﷺ ألا تستعمل أهل بدر ؟ فقال : إني أرى مكانهم ، ولكن أكره أن أدنسهم بالدنيا^(٤) .

وأما عمر رضى الله عنه فإنه أتى بنصف ماله ، وترك نصفاً لعياله ، وليس قميصاً جديداً ، ثم دعا بشفرة ، فقال لابنه : يا بنى مدَّ كُمَّ القميص والزق يدك بأطراف أصابعي ، ثم اقطع ما فضل عنها ، قال عبد الله : فقطعت الكمين من جانبيه ، فصار كم القميص بعضه فوق بعض فقلت : يا أبتاه لو سويته

(١) بذلك الكل : أى إعطاؤك الكل . يقال : بذل الشيء أى أعطاه وجاد به .

(٢) أخرجه الترمذى (٣٩٢٠) بلفظ : (ما أبقيت لأهلك ؟) وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم

(١/ ٤١٤) وقال : صحيح وأقره الذهبي ، وأخرجه أبو نعيم (١/ ٣٢) فى حلية الأولياء .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٤) .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٣٧) .

بالمقص ، فقال : يا بني هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل فما زال عليه حتى تقطع ، وكان ربما رأيت الخيوط تتساقط على قدميه^(١) .

وقال الحسن خطب عمر رضى الله عنه وهو خليفة وعليه إزار ، فيه اثنتا عشرة رقعة^(٢) . وقال قتادة : ذكر لنا أن عمر رضى الله عنه قال : لو شئت كنت أطيبكم طعامًا وألينكم لباسًا ، ولكنى أستبقى طيباتي للآخرة^(٣) .

وقال الأحنف بن قيس : سمعت عمر يقول : لأنا أعلمكم بخفض العيش ، ولو شئت لكنت أطيبكم عيشًا إني والله ما أجهل عن أسنمة وصلاء ، وصناب ، وصلائق ولكنى أستبقى طيباتي ، فإن الله تعالى وصف أقواما^(٤) فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾^(٥) . والصلاء بالمد والكسر المشوى سمي بذلك لأنه يصلى بالنار ، والصناب الأصبغة المتخذة من الخردل والزبيب ، والصلائق الخبز الرقاق العريض . فأما السلائق بالسين فهو ما يسلق من البقول وغيرها .

وقال حفص بن العاص كنت أتغدى عند عمر رضى الله عنه الخبز والزيت والخل ، والخبز واللبن والقديد ، وأقل ذلك اللحم الغريض^(٥) وكان يقول لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله .

وأما عثمان رضى الله عنه فحسبك به زهدًا جهز جيش العسرة بثلاث مائة

(١) حلية الأولياء (١/ ٤٥) .

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٣) ، وصفة الصفوة (١/ ٢٨٤) .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٤٩) ، وأورده صاحب منتخب كنز العمال (٤/ ٤٠٦) وعزاه لعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة .

(٤) حلية الأولياء (١/ ٤٩) ، صاحب منتخب كنز العمال (٤/ ٤٠٢) وعزاه لابن المبارك وابن سعد عن أنى موسى الأشعري .

(٥) سورة الأحقاف : ٢٠ .

(٥) اللحم الغريض : الطرى من اللحم ، يقال : أطعمنا لحما غريضًا أى طريا ، وغريض اللبن واللحم : طريه .

بغير بأحلاسها وأقتابها وألف دينار أتى بها النبي ﷺ^(١) فثرها بين يديه وترك نفسه حياطة على الأمة حتى لا يقع بينهم فتنة ، وكان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل بيته فيأكل الخبز والخل والزيت .

وقال عبد الله بن شداد رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة وعليه إزار عدنى غليظ ثمنه أربعة دراهم ، أو خمسة ، وريطة كوفية ممشقة^(٢) .

وأما على رضى الله عنه ، فقال بعض الثقات : دخلت على على بالخورنق^(٣) وهو يرعد تحت سمل قطيفة^(٤) ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وإن الله قد جعل لك ولأهل بيتك فى هذا المال حظاً فأنت تصنع بنفسك ما تصنع ؟ فقال : والله ما رزأتكم من مالكم شيئاً ، وإنما لقطيفتى ، أى خرجت بها من منزلى ، يعنى من المدينة^(٥) . واشترى قميصاً له بدرهم فلبسه ، فإذا هو يفضل على أطراف أصابعه ، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه^(٦) . وجاءه ابن النباح^(٧) فقال : امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء . فأتى بيت المال فجمع مستحقه ، وأعطى جميع ما فيها ، وهو يقول : يا صفراء اصفرى ، ويا بيضاء ابيضى ، غررى غررى ، ها ، ها . حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ، ثم أمر بنضحه ، وصلى فيه ركعتين ، رجاء أن يشهد يوم القيامة^(٨) .

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٧٥) ، وأبو نعيم (١/ ٥٩) فى حلية الأولياء . قوله (أحلاسها) جمع حلس ، وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل . قوله : (أقتابها) جمع قتب أى الرحل .
(٢) حلية الأولياء (١/ ٦٠) وتحرف فيها عبد الله بن شداد إلى عبد الملك بن شداد . قوله : (ريطة) الرّيطة هى الملاة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين ، والجمع ريط ، ورياط .

(٣) الخورنق : هو موضع بالكوفة ، والخورنق أيضاً : قصر النعمان بظاهر الحيرة ، بناء سنماًر صاحب المثل المشهور ، والمعنى الأول هو المراد هنا .

(٤) القطيفة : كساء له تحمل ، والسمل : الخلق من الثياب ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى قطيفة سمل .

(٥) حلية الأولياء (١/ ٨٢) .

(٦) حلية الأولياء (١/ ٨٣) ، وصفة الصفوة (١/ ٣١٨) .

(٧) هو عامر بن النباح مؤذن على بن أبى طالب ، ويروى عنه ، انظر : طبقات ابن سعد (٣/ ٢٤) .

(٨) حلية الأولياء (١/ ٨١) .

وأنى بفالودج فوضع قدامه ، فقال : إنك طيب الريح ، حسن اللون ، طيب الطعم ، ولكن أكره أن أعود نفسى ما لم تعتده^(١) .

قلت : فزهد هؤلاء الخلفاء - لم يكن عن اضطرار ، وإنما كان ذلك منهم اختياراً ؛ إيثاراً للأفضل من الحال وتواضعاً لله عز وجل ، واقتداءً بنبيهم ﷺ .

وقد روى الترمذى من حديث سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من ترك اللباس تواضعاً لله ، وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها »^(٢) قال حديث حسن .

وأما طلحة بن عبيد الله - رضى الله عنه - فقال الحسن : باع طلحة بن عبيد الله أرضاً بسبع مائة ألف درهم ، فبات ذلك المال عنده ليلة ، فبات أرقاً من مخافة ذلك ، حتى أصبح وفرقه على المساكين^(٣) . وقال زياد بن حدير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف درهم على الناس فى المسجد^(٤) طرف إزاره بيده^(٥) . وكان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - إذا ذكر يوم أحد ، قال ذلك كله يوم طلحة^(٦) .

وأما الزبير بن العوام - رضى الله عنه - فكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وكان يقسمه كل ليلة ثم يعود إلى منزله ، ليس معه منه شيء^(٧) .

(١) حلية الأولياء (١ / ٨١) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٥٩٨) ، وأحمد (٤٣٩ / ٣) ، والحاكم (١٨٣ / ٤) ، وأبو نعيم (٤٨ / ٨) فى الحلية ، قال الشيخ الألبانى : حسن ، انظر : صحيح الجامع برقم (٦٠٢١) .

(٣) الزهد لأحمد (ص / ١٨١) ، حلية الأولياء (١ / ٨٩) ، صفة الصفوة (١ / ٣٤٠) وعزاه لأحمد .

(٤) غير واضحة بالأصل لسقوط المداد على الكلام .

(٥) حلية الأولياء (١ / ٨٨) ، وصفة الصفوة (١ / ٣٤١) ونصه كاملاً كالتالى : عن سعدى بنت عوف امرأة طلحة قالت : لقد تصدق طلحة يوماً بمائة ألف درهم ، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه .

(٦) حلية الأولياء (١ / ٨٧) ، صفة الصفوة (١ / ٣٣٨) .

(٧) الزهد لأحمد (ص / ١٧٩) ، حلية الأولياء (١ / ٩٠) .

أُخرج الإمام أحمد بن حنبل . وباع دارا بستائة ألف ، فقيل له : يا أبا عبد الله غبت ، فقال : كلا والله لتعلمن أنى لم أغبن هـى فى سبيل الله تعالى . ولما كان يوم الجمل جعل يوصى بنيه بدينه ويقول : يا بنى إن عجزتم عن شىء فاستعينوا عليه بمولائى ، قال عبد الله بن الزبير : فقلت يا أبت من مولاك ؟ قال : الله . قال : فوالله ما وقعت فى كربة من دينه إلا قلت يا مولى الزبير اقض دين الزبير ، فيقضى دينه من ساعته^(١) .

قتل رضى الله عنه ولم يدع دينارا ولا درهما إلا أرضين منها الغابة وإحدى عشرة دارا بمصر ، وإنما كان دينه الذى عليه أن الرجل يأتيه بالمال ويستودعه إياه ، فيقول له الزبير : لا ولكن سلف فإنى أحشى عليه الضيعة ، قال عبد الله : فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف^(٢) ، فقضى عنه دينه من تلك التركة حسب ما ذكره البخارى فى صحيحه .

وكان عبد الله ينادى فى الموسم أربع سنين : من كان له على الزبير فليأته . فلما مضى أربع سنين قسمه ، نال الورثة الباقي ، وكان له أربع نسوة ، وأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتى ألف ، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف^(٣) . ذكره البخارى رحمه الله .

وأما عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فأحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم .

هاجر عبد الرحمن إلى أرض الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها ، وثبت مع النبى ﷺ يوم أحد ، وصلى رسول الله ﷺ خلفه ركعة ، فى غزوة تبوك ، وقال : « ما قبض نبى حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته » وكان من مياسير الصحابة وعامة أمواله من التجارة .

(١) حلية الأولياء (١/ ٩٠ - ٩١) ، صفة الصفوة (١/ ٣٤٨) .

(٢) حلية الأولياء (١/ ٩١) .

(٣) مسلم (٣/ ١٧٢) ، والنسائى (١/ ٧٧) ، أحمد (٤/ ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٥١) .

وقال الزهري : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمس مائة فرس في سبيل الله ، ثم حمل على مائة ألف ، ومائة راحلة في سبيل الله ، وقدمت له غير من الشام وكانت سبعمائة راحلة فتصدق بها وبأحمالها وأقتابها ، وأحلاسها في سبيل الله^(١) .

وفي كتاب المستدرك للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله عن جعفر بن برقان قال : بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت^(٢) ، وفيه أن عبد الرحمن كان يقال له حوارى رسول الله ﷺ^(٣) ، هذا على شرط مسلم من حديث محمد بن إسحاق .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأتي أم كلثوم ابنة عقبة فيقول لها هل قال لك رسول الله ﷺ تزوجى عبد الرحمن بن عوف فإنه سيد المسلمين ؟ فتقول نعم .

وروى أن عليا رضى الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنك أمين في أهل السماء ، أمين في أهل الأرض »^(٤) .

قلت : عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه وأرضاه - أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وهو أحد الستة الذين أقامهم عمر بن الخطاب ، وأصحاب رسوله الله ﷺ مقام الشورى ، وهو المخصوص من بينهم بترك نصيبه من الخلافة زهدا منه ليختار للمسلمين ما اختار الله لهم ، فبايع عثمان وتمت له البيعة ببيعته ورضيته الأمة أمينا ، وقدمته الصحابة إماما ، صلى رسول الله

(١) أخرجه الطبراني (٢٦٥) ، وأبو نعيم (٩٩ / ١) في الحلية ، وأورده ابن حجر (٤١٦ / ٢) في الإصابة ، وإسناده منقطع .

(٢) الحاكم (٣٠٨ / ٣) في مستدركه .

(٣) الحاكم (٣٠٩ / ٣) في مستدركه .

(٤) الحاكم (٣١٠ / ٣) في مستدركه ، وتعقبه الذهبي بقوله : قلت : أبو المعلى هو فرات بن السائب تركوه ، وأورده أبو نعيم (٩٨ / ١) في الحلية ، وفيه أبو المعلى .

ﷺ خلفه ركعة واحدة أدركها وراءه ولم يصل خلف أحد من الصحابة
سواه ، والصديق . وهو القائم لله في ماله بحقه ، وكان من الذين قال رسول
الله ﷺ : « إِنْ مِنْ قَالِ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا » إلى غير ذلك من مناقبه وفضائله .

فلا تلتفت إلى ما روى أنه آخر من يدخل الجنة ، وأنه يجبو يوم القيامة
حبوا ، وأعوذ بالله أن يجبو عبد الرحمن في القيامة لأجل ماله وغناه . أفترى
من سبق ، وهو من العشرة ، ثم من الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو
عنهم راضٍ ، ومن أهل بدر والحديبية يجبو ، معاذ الله .

قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَائِلٌ ﴾ ^(١) الآية .
وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ ﴾ ^(٢) الآية . وحسبك بهذا فضلا .

ثم الحديث الذى يروونه إنما يرويه عمارة بن زاذان ، قال البخارى فيه :
ربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال
أبو حاتم الرازى : لا يحتج بحديثه ، وقال الدارقطنى : ضعيف .

وقد ذكر المحاسبى وغيره أن عبد الرحمن لما توفى قال ناس من أصحاب
رسول الله ﷺ : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان
الله ، وما تخافون على عبد الرحمن ، كسب طيبا ، وأنفق طيبا ، وترك طيبا ،
فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا ، بلحى بغير ، فأخذ بيده ثم انطلق
يطلب كعبا ، فقبل لكعب إن أبا ذر يطلبه فخرج هاربا ، حتى دخل على
عثمان ، يستغيث به وأخبره الخبر ، وأقبل أبو ذر ينقض الأثر فى طلب كعب
حتى انتهى إلى دار عثمان ، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا
من أبى ذر ، فقال أبو ذر : يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس مما ترك عبد

(١) سورة الحديد : ١٠ .

(٢) سورة الفتح : ١٨ .

الرحمن ، لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال « الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا »^(١) .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا حديث باطل لا يثبت ، ومحال من وضع الجهال .

وقد روى بعض هذا إلا أن طريقه لا يثبت لأن في سنده ابن لهيعة وقد تكلم فيه ، قال يحيى : لا يحتج بحديثه ، والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة خمس وعشرين ، وعبد الرحمن بن عوف سنة اثنين وثلاثين ، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين .

قلت : ومما يدل على وضعه في الحديث نفسه ، وهو قول أبي ذر يا ابن اليهودية وهذا منه تعبير وقد وبخه النبي ﷺ على ذلك كما في صحيح مسلم ، عنه قال « كان بيني وبين رجل من إخواني خصومة ، فغيرته بأمة فشكاني إلى النبي - ﷺ - فقال « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية » ، فقلت : يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه ، فقال : « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية »^(٢) الحديث . أفترى أن أبا ذر بعد توبيخ النبي ﷺ له يقع فيما وبخ فيه ، هذا بعيد على من دونه ، فكيف به - رضى الله عنه وأرضاه .

وأيضاً قوله : « الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا وهكذا » وعبد الرحمن بن عوف ممن قال هكذا وهكذا حسب ما ذكرناه ، والحديث باطل من وضع الجهال .

وكما قال علماؤنا فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه ، ثم إن عبد الرحمن أفضل من أبي ذر بما لا يتقارب بماله من السبق وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، فهو من السابقين إليها الفائزين بها ، فلا يلتفت إلى غير هذا ، وبالله التوفيق والعصمة وسيأتي لهذا مزيد بيان في الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(١) سبق تخريجه .

(٢) البخارى (١٤ / ١) بنحوه ، ومسلم (١١ / ١٣٤) .

في فضل من أخذ المال بحقه وأنفقه في حقه

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ، ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حق كان كالذى يأكل ولا يشبع »^(١) .

وروى مسلم عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فينفخ فيه بيمينه ، وشماله ، وبين يديه ، ووراءه ، وعمل فيه خيرا »^(٢) .

وأخرج الترمذى عن خولة بنت قيس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا المال خضرة حلوة من أصابه بحقه بورك له فيه ، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ، ليس له يوم القيامة إلا النار »^(٣) . قال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج عن أبى كبشة الأمارى قال : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من

(١) البخارى (٣٢ / ٤) ومسلم (١٢٦ / ٧) ، والنسائى (٦٠ / ٥) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وأحمد (٣ / ٧ ، ١٩ ، ٢١) ، (٤ / ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٨) ، (٦ / ٦٨ ، ٣٦٤) .
(٢) البخارى (١١٦ / ٨) ، ومسلم (٧٦ / ٧) .

(٣) الترمذى (٢٤٨٠) ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٢٢٤٧) . قوله : (ورب متخوض) أى متسارع ومتصرف ، وأصل الخوض المشى فى الماء ، وتحريكه ، ثم استعمل فى التلبس بالأمر ، والتصرف فيه ، أى رب متصرف فى مال الله بما لا يرضاه الله ، أى يتصرفون فى بيت المال ، ويستبدون بمال المسلمين بغير قسمة .

صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاء ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » أو كلمة نحوها « وأحدثكم حديثا فاحفظوه . قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم الله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً ، يحبط في ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل رحمه ، ولا يعلم الله فيه حقاً ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء »^(١) قال : حديث حسن صحيح .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : أبان معنى هذا الباب فضل المال وخيبته ، وأن صاحبه إذا أنفق في حقه ، ووضعه في حقه ، كان في أرفع المنازل ، والدرجات ، وأعلى المقامات والغرفات ، كما نص عليه التنزيل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾^(٢) . والآيات في مدح المال كثير لمن تأمل كتاب الله وذلك مما يدل على كسبه واتجاره وجمعه .

كان سعيد بن المسيب يقول : لا خير في من لا يطلب المال ، يقضى به دينه ، ويصون به عرضه ، فإن مات تركه ميراثاً لغيره .

(١) الترمذی (٢٤٢٧) وقال : حسن صحيح ، وأخرجه أحمد (١/ ١٩٣) ، (٤/ ٢٣١) ، والبيهقي (٥٢٨٧) في المشكاة ، قال الشيخ الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٣٠٢١) .

(٢) سورة سبأ : ٣٧ .

وقال رسول الله ﷺ : لسعد : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس »^(١) وقال : « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر »^(٢) .

وقال لعمر بن العاص « نعم المال الصالح للرجل الصالح »^(٣) . ودعا لأنس فقال « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه »^(٤) وهذا كله ثابت في الصحيح . وخلف سعيد بن المسيب أربع مائة دينار ، وسفيان الثوري مع زهده وتقشفه مائتين ، وقال : لأن أخلف عشرة آلاف درهم ، وأحاسب عليها خير لي أن أحتاج إلى الناس . وكان يقول : المال في هذا الزمان سلاح .

وقال له رجل : يا أبا عبد الله تمسك هذه الدنيا ؟ قال : اسكت فلولا هذه الدنانير لتمنل بي^(٥) هؤلاء الملوك . وفي هذا المعنى قال عبد الرحمن بن عوف : حبذا المال أصون به عرضي ، أقرضه ربي فيضاعفه لي أضعافا كثيرة . وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للمنائب وإعانة الفقراء وأكثر الصحابة كسبوا المال ، وخلفوه . خلف طلحة ثلاث مائة بنهار صار في كل نهار ثلاثة قناطر والقنطار واليها أجمل . وكان مال الزبير خمسين من ألف ألف ومائتي ألف ، وخلف ابن مسعود تسعين ألفا .

-
- (١) البخاري (١٠٣/٢) ، ومسلم (٧٧/١١) ، وأبو داود (٢٨٦٤) ، والترمذي (٢٧٩٩) وقال : حسن صحيح ، والنسائي (٢٤١/٦) ، وابن ماجه (٢٧٠٨) ، وأحمد (١٧٣/١) ، (١٧٦) .
(٢) أخرجه أحمد (٢٥٣/٢) ، وابن ماجه (٩٤) ، قال الشيخ الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٥٦٨٤) .
(٣) أحمد (١٩٧/٤) ، (٢٠٢/٤) ، وأورده الحافظ الهيثمي (٦٤/٤) في مجمع الزوائد ، وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وأبو يعلى بنحوه ، ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح ، وقال الحافظ العراقي (١٠١/٤) الإحياء : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص ، بسند جيد .
(٤) البخاري (١٠١/٨) ، ومسلم (٣٩/١٦) ، وأحمد (٤٣٠/٦) ، والترمذي (٤٠٨١) ، والبخاري (٨٨ ، ٦٥٣) في الأدب المفرد ، الطبراني (٢٢١/١) في الكبير ، والبيهقي (٩٦/٣) في السنن ، وأبو نعيم (٢٦٧/٨) في حلية الأولياء ، والبقوي (٦١٩٩) في المشكاة ، (١٨٨/١٤) في شرح السنة .
(٥) تمنل : أي تمسح وتعلق .

وروى أبو مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يأمر بالصدقة فينطلق أحدنا يتحامل حتى يجيء بالمد ، وإن لأخبرهم اليوم مائة ألف . قال شقيق : كان يعرض بنفسه ^(١) . وهذا إسناد صحيح . أخرجه ابن ماجه في سننه قال : حدثنا عبد الله بن نمير وأبو بكر قالا : حدثنا أبو أسامة عن زائدة عن الأعمش فذكره مسلم بمعناه ^(٢) .

والإجماع انعقد على إباحة جمع المال بقوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ ^(٣) . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ ^(٥) . إلى غير ذلك من الآيات .

فأباح الله تعالى كسب المال ليوصل به إليه من جهاد عدو ، وإعانة فقير ، وإطعام مسكين وعون مظلوم ، وإغاثة ملهوف . ومتى صح القصد فيه فجمعه أفضل ، بلا خلاف عند العلماء . قلت : وإذا تقرر هذا فهو يدل على بطلان ما ذكره ، ويروونه من أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة آخرًا ، ويحبو حبواً ، ثم تعلقهم بعبد الرحمن بن عوف دليل على جهلهم ، إذ لم يروا سير الصحابة الذين خلفوا الأموال ، ولا سير السلف الصالح الذين بهم القدوة وفيهم الأسوة ، لولا التطويل لذكرنا من ذلك العدد الكبير من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، وغيرهم رضى الله عنهم .

وقد أخرج الطبراني سليمان بن أحمد قال : حدثنا محمد بن الفضل الثقفي قال : حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي عن أبي أسامة عن هشام بن عروة

(١) البخارى (٦/ ٨٥) ، وأحمد (٥/ ٢٧٣) ، والنسائي (٥/ ٥٩) ، وابن ماجه (٤١٥٥) .

(٢) كذا بالأصل ، ولم أثر عليه في صحيح مسلم .

(٣) سورة الأنفال : ٦٩ .

(٤) سورة النساء : ٢٩ .

(٥) سورة البقرة : ٢٦٧ .

عن أبيه قال : أدركت سعد بن عبادة ومناذٍ ينادى على أطمه : من أحب
شحماء ولحماء فليأت سعدا ، ثم أدركت ابنه قيسا ينادى على ذلك قال ، قال
سعد بن عبادة : اللهم هب لي حمداً ، وهب لي مجداً ، لا مجد إلا بفعال ولا
فعال إلا بمال ، اللهم إنه لا يصلح لي القليل ولا أصلح عليه^(١) . وحسبك
بالصديق القائل عند موته لابنته عائشة رضى الله عنها : والله ما أحد أحب
بعدي منك ، ولا أعز بعدي فقراً منك .

(١) أخرجه ابن سعد (٣ / ٢ / ١٤٣) ، والحاكم (٣ / ٢٥٣) ، وأورده الذهبي (١ / ٢٧٦) .

في بيان قوله عليه السلام : « لكل أمة فتنه وفتنة أمتي المال » .
 وبيان قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمَدِّدْ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ ^(١)
 الآية أخرج الترمذى عن كعب بن عياض قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن لكل أمة فتنه وفتنة أمتي المال » ^(٢) . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(فصل)

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا خبر منه ﷺ بأن كل الأمم افتنت فأمم منهم افتنتوا عن توحيدهم بالأصنام فعبدوها ، وقوم بالشمس فتألوهوا ، وقوم بالقمر ، وقوم بالكواكب ، وقوم نبي كان فيهم وهم اليهود عبدوا عزيرا ، وقالوا : ابن الله ، ومنهم من افتنتوا بالعجل يعبدونه ، والنصارى افتنتوا بعبسى فقال قوم منهم : هو الإله . وآخرون منهم قالوا هو ابن الله وجعل فتنة هذه الأمة في حب الدينار والدرهم فغلب على أكثرهم حب المال فكدر عليهم عبودية المتكبر المتعال كما غلب على أكثر الأمم فتنة شرك الأسباب في توحيد رب الأرباب .

قلت : وقد احتج بهذا ، وما كان في معناه من لا يرى جمع المال واكتسابه ، واتخاذة واقتنائه لما ينشأ فيه من المفساد ويحرم صاحبه من الخيرات والفوائد ولا حجة لهم في ذلك لأن الناس مختلفون بحال في ذلك وقد كشف هذا حديثان :

(١) سورة طه : ١٣١ .

(٢) أحمد (٤/ ١٦٠) ، والترمذى (٢٤٣٩) وقال : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح ، والحاكم (٤/ ٣١٨) ، والبيهقى (٥١٩٤) في المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : صحيح ، انظر : السلسلة الصحيحة (٥٩٤) ، صحيح الجامع (٢١٤٤) .

أحدهما حديث أبى كبشة الأنمارى وقد تقدم فى الباب قبل .

والثانى : مارواه البخارى وابن ماجه وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش إن أعطى رضى وإن منع سخط »^(١) . ثم قال ﷺ فى ثمانية : « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كانت الحراسة ، كان فى الحراسة ، وإن كانت الساقة ، كان فى الساقة ، يطلب الموت من مكانه ، إن أعطى شكر ، وإن منع صبر »^(٢) .

قال علماؤنا : فميز ﷺ بين عبد المال والهوى ، وبين العبد الخالص للمولى ، فذلك دعا عليه بسبب الدعاء ليرجع إلى المولى ، والمخلص خصه بجذا ، وهى درجة المحبوبين الأولياء ، فالمال إذا شغل عن ذكر الله ، وعن القيام بحقوقه ، فبئس المال ، وإذا لم يمنع عن ذلك فنعيم المال كما قال عليه الصلاة والسلام : « نعم المال الصالح للرجل الصالح »^(٣) . لكن لما كانت سلامة الدين مع ذلك نادرة ، والفتن والآفات من ذلك غالبية ، تعين التقلل منه والفرار ، وأن لا يأخذ المرء منه إلا ما يكفيه عند الحاجة والاضطرار . وقد قال أرباب الفهوم : ما يشغلك عن الله من أهل أو مال ، فهو عليك مشغوم . وقال يحيى بن المتوكل كنت أمشى مع سفيان الثورى فمررت برجل بنى بناء وشيده ، فقال : لا تنظر إليه ، إنما بناه لينظر إليه .

وقال هشام بن عروة : كان أبى إذا دخل على من عنده شئ من زينة الدنيا أسرع الرجوع إلى أهله ، وقام بالباب ، ونادى ﴿ وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنُكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ﴾^(٤) إلى آخر الآية ، ثم ينادى الصلاة الصلاة فيقومون فيصلون أجمعون .

(١) البخارى (٨ / ١١٥) ، وابن ماجه (٤١٣٥) ، (٤١٣٦) .

(٢) البخارى (٤ / ٤٢) بنحوه .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سورة طه : ١٣١ .

في حقارة الدنيا وهوانها على الله تعالى أخرج الترمذى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء »^(١) وأنشدوا :

تسمع من الأيام إن كنت حازما فإنك فيها بين ناه وأمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
ولن تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن من جناح لطائر
فما رضى الدنيا ثوبا لمؤمن ولا رضى الدنيا جزاء لكافر

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية ، والناس كنفثيه فمر بجدى أسك ميت فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : « أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ » فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ، قال : « تحبون أنه لكم ؟ » . قالوا : والله لو كان حيا لكان عيبا فيه لأنه أسك ، فكيف وهو ميت . قال « فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم »^(٢) .

ويروى عن النبي ﷺ قال « من هوان الدنيا على الله تعالى أن لا يعصى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده إلا بتركها »^(٣) .

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٢٢) وقال : حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، قال الشيخ الألبانى - حفظه الله - صحيح ، انظر : صحيح الجامع (٥١٦٨) ، والسلسلة الصحيحة برقم (٩٤٠) .
(٢) أخرجه مسلم (٩٣ / ١٨) ، وأحمد (٣ / ٣٦٥) . [من معانى الحديث وفوائده] :
قوله : (كنفثيه) أى جانبيه .

قوله : (جدى أسك) أى صغير الأذنين .
قوله : (أيكم يحب ؟) استفهام إرشاد وتنبيه .
ومن فوائده : ١ - الدنيا أذل وأحقر عند الله من هذا الجدى الميت عند الناس . ٢ - لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا يتنجس .
(٣) أورده الإمام القرطبي بصيغة التضعيف ، ولم أجده فيما تحت يدى من كتب .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : معنى هوان الدنيا على الله هو : أنه لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلا إلى غيرها ، وأنه لم يجعلها دار إقامة ، ولا جزاء وإنما جعلها دار رحلة وبلاء وآتاهما في الغالب الكفرة والجهال وحماها الأنبياء والأولياء الأبدال ، وحسبك بها هوانا أن الله تعالى صغرها ، وحقرها ، وذمها وأبغضها وأبغض أهلها ، ومحبيها ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزهد ، وذمها والتأهب للارتحال عنها ، ومع هوانها لا بد للإنسان منها لأنها السبيل المقصود ، والطريق المحمود . قال عليه السلام : « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر »^(١) .

وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال على : الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها . وقال محمود الوراق فأحسن :

لا تتبع الدنيا وأيامها ذما إذا دارت بك الدائرة
من شرف الدنيا ومن فضلها أن بها تشتد درج الآخرة

وبالجملة فللعبد في كل وقت من أوقاتها حالة فيها صفة محمودة ، أو مذمومة ، وتلك الصفات تتعلق الأحكام ، وعليها يترتب الثواب والعقاب ، فإن لم يكن في الدنيا خير من وجه فلا غنى بها من أخذ به يعود خيرا ، لأنها مطية السائر ، وزاد المسافر ، وقنطرة العابر ، لا دار العامد ، وجهد المقل يقتنص منها ولا يستكثر ويتقوت منها ولا يدخر ، ومثالها الصارم تصلح للعادل

(١) الفردوس (٧٢٨٨) ، وأورده السيوطي (١/ ٨٩١) في الجامع الكبير ، وعزاه للديلمى وابن النجار ، من حديث ابن مسعود ، وفي إسناده السرى بن إسماعيل ، قال الحافظ : متروك الحديث ، وكذبه يحيى القطان ، انظر ترجمته في : تاريخ ابن معين (٣/ ٤٤١) ، التاريخ الكبير للبخارى (٢/ ١٧٦) ، والضعفاء الصغير (٥٦) ، الضعفاء للعقيلي (٦٩٧) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٢٨٢) ، المجروحون (١/ ٣٥٥) ، الكامل لابن عدى (٣/ ١٢٩٥) ، الميزان (٢/ ١١٧) ، التقريب (١/ ٢٨٥) .

والظالم فيصرفه كل واحد منهما على نيته ، وحب إرادته ، فما كان من الدنيا يقرب إلى الله تعالى ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان ، والمحبوب لكل إنسان ، ومثل هذا فلا يسب بل يرغب فيه فيحب وإليه الإشارة بالاستثناء في حديث أئى هريرة عن النبى ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالمٌ أو متعلمٌ »^(١) . أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

وروى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : يؤتى بالدنيا يوم القيامة فيقول الرب تبارك وتعالى خذوا ما لنا فيها وألقوا سائرها فى النار .

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٢٤) وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، قال الشيخ الألبانى - عفا الله عنه - حسن ، انظر : صحيح الترغيب (١ / ٥٦) ، صحيح الجامع (١٦٠٥) .

في بيان الدنيا وفيما جعل مثلاً لها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴾ ^(١) . وقال تعالى : ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ ^(٣) . إلى غير ذلك من الآيات . وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ ^(٤) .

وأخرج ابن أبي خيثمة عن الضحاك بن سفيان قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا ضحاك ما طعامك ؟ » قلت : اللحم واللبن ، قال : « ثم يصير إلى ماذا ؟ » قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله ، قال : « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » ^(٥) .

(١) سورة يونس : ٢٤ .

(٢) سورة الحديد : ٢٠ .

(٣) سورة الزمر : ٢١ .

(٤) سورة عبس : ٢٤ .

(٥) أحمد (٤٥٢ / ٣) ، الطبراني (٨١٣٨) في الكبير ، وأورده الهيثمي (٢٨٨ / ١٠) في مجمع الزوائد ، وقال : رجال الطبراني رجال الصحيح غير علي بن زيد بن جدعان ، وقد وثق ، انظر كلام الشيخ الألباني على الحديث في السلسلة الصحيحة (٣٨٢) .

وقال أنى بن كعب قال النبى ﷺ : « إن مطعم ابن آدم جعل مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه فليُنظر إلى ما يصير »^(١) .

وقال أبو الوليد سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه قال : فيأتيه الملك فيقول : انظر إلى ما تحلت به إلى ما صار .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فى ضرب الله تعالى المثل فى الدنيا بالماء المنزل من السماء بدائع تسع : الأولى : أن المطر لا يستنزل بالحيلة ، كذلك الدنيا لا تنال إلا بالغنيمة .

قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٢) .
الثانية : أنه وإن كان المطر لا يجيء إلا بتقدير فإنه يستنزل بالرغبة والسؤال كذلك الرزق يلتمس من الله .

قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣) .

الثالثة : أن الماء إذا جاء به نفع وإذا زاد على الحاجة ضر كذلك المال إذا كان بقدر الكفاية فصاحبه فى نعيم ، وإذا زاد فصاحبه فى نصب وطغيان .
الرابعة : أن الماء إذا كان جاريا كان طيبا ، وإذا اختزن تغير . كذلك المال إذا أجراه صاحبه فى مجاريه فطاب ، وإذا احتجبه خبث عليه وغاب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾^(٤) .

(١) أخرجه ابن حبان (٢٤٨٩) ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (١٣٦ / ٥) ، الطبرانى (٥٣١) فى الكبير ، قال الهيثمى (٢٨٨ / ١٠) رواه عبد الله والطبرانى ، ورجاهما رجال الصحيح . قوله (قزحه) القزح هو التابل ، وهو الذى يطرح فى القدر كالكمون والكزبرة ، ونحو ذلك .

(٢) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٣) سورة النساء : ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٨٠ .

الخامسة : أن الماء إذا كان طاهرًا صلح للثياب والعبادات ، وإذا كان نجسًا لم يصلح للعبادة . كذلك المال إذا كان حلالا استقام به المعاش والطاعة وخلص من التباعة ، وإذا كان حراما أن^(١) عزيته فقد أبدى عورته ، وإن جوعته فقد أسقط حرمة .

السادسة : أن الماء إذا أثار عنه النبات وخرجت به الأشجار ، وأينعت به الثمار ، واختلفت عليه المناظر للنظار ، لا يأمن أن تصيبه آفة من غير أسباب ، وتنقلب عليه الحال بما لم يكن في الحسبان ، وكذلك المال إذا نمي بيد صاحبه وتفنن في أنواعه ، وعمم به جميع لذاته ، وكثرت عليه الأعداد من الأزواج والأولاد ، ورأى أن أحواله صافية ومراتبه عالية ، ومقاديره غالية ، وأمواله متدانية ، ورياض ترابه زاهرة ، وغصون أنسه متداولة إذا بالدمار قد أخذ الديار ، والذهب قد جرى عن الأحباب ، والأموال قد ابتسمت بيد الانتهاب ، واختطف هو من بينها أرجى ما كان لها ، وأحوجه عليها ، وأغبطه بها ، وأشوقه إليها ، وفي هذا المعنى يقول المغربي :

فقدناه لما تم واعتز بالعلی كذاك كسوف البدر عند تمامه

السابعة : قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ﴾^(٢) إن كان هذا عن جائحة فهذه الآية والتي بعدها سواء .

وإن كان هذا الزرع الذى أخرج حبه بذر قشرة ، فصار هشيمًا تذرّوه الرياح أو زائلا تتكرم به الأرض وتتدافع فيكون ذلك لبديعه مثلا وهى :

الثامنة : أن المال إذا أخذ منه العبد حاجته فى المعاش ، وأرسل باقيه فى الشهوات كان معدوما فى حق الدنيا هشيمًا ، صار به صاحبه ملومًا ، وصار وقته مذمومًا .

(١) بياض بالأصل .

(٢) سورة الكهف : ٤٥ .

التاسعة : فى وجه الذكر أبان الزرع يخرج مختلف الألوان ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يجعله حطاما ، التنبيه باختلاف أحوال الزرع من حين خلقه واستنباته إلى إتيان على المرء من أول نشأته إلى وفاته ، والزرع لا يخرج زرعه إلا بعد الجفاف ، كذلك المرء لا يطيب عمله إلا إذا راضى نفسه ، وأزال^(١) قبل أن يرد إلى أرذل العمر وهو حال الضعف فى القوة ، والوهن فى الأعضاء ، وقد كان النبى ﷺ يقول : « اللهم إني أعوذ بك أن أورد إلى أرذل العمر »^(٢) . وأما بمثل النبى ﷺ فما الدنيا بما يخرج الإنسان فبين المعنى ، وقد مثلها بعض الفضلاء بالجيفة التى تجتنبها الكلاب فقال :

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُمْ اجْتِدَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنَّبُهَا كُنْتَ سَلَامًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَذِبُهَا نَارَ عَتِكَ كِلَابُهَا
فَطُوبَى لِنَفْسٍ أُولِعَتْ قَعَرْدَارِهَا مُغْلَقَةً الْأَبْوَابِ مُرْحَى حِجَابُهَا
الآيات للشافعى رحمه الله^(٣) .

(١) غير واضح بالأصل ، لسقوط مداد على الكتابة .

(٢) أخرجه النسائى (٢٥٦/٨) .

(٣) ديوان الإمام الشافعى (ص/ ٥١) طبعة دار ابن زيدون .

في أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »^(١) .

فصل

إنما كانت الدنيا سجنًا لأن المؤمن فيها مقيد بقيود التكليف ، فلا يقدر على حركة ولا سكون إلا أن يفسح له الشرع ، فيفك قيده ويمكنه من الفعل أو الترك ، مع ما هو فيه من أنواع البلايا والحن ، ثم هو في هذا السجن على غاية الخوف والوجل ، إذ لا يدرى بما يختم له من عمل . والكافر منفك عن تلك التكليف ، آمن من تلك المخاوف ، مقبل على لذاته ، منهك في شهواته ، مغتر بمساعدة الأيام ، يأكل ويتمتع كما تفعل الأنعام ، وعن قريب يستيقظ من هذه الأحلام ويحصل في السجن الذي لا يرام .

حكاية : كان سهل الصعلوكي الفقيه الخراساني الحنفي ممن جمع رئاسة الدين والدنيا ، خرج عليه يوماً وهو في موكبه في مسخن حمام يهودي في أطمارسجم من خانة فقال : أستم تروون عن نبيكم ﷺ أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . وأنا عبد كافر وترى حالي ، وأنت مؤمن وترى حالك ، فقال له على البديهة : إذا أنت صرت غداً إلى عذاب الله كانت هذه جنتك ، وإذا صرت أنا إلى نعيم الله ورضوانه ، كان هذا سجنى . فعجب الخلق من فهمه وبراعته . والحديث صحيح جداً . ومن الحديث الحسن « الدنيا سجن المؤمن وسنته ، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة »^(٢) . ذكره القاضي أبو بكر بن العري في سراج المريدين له .

(١) مسلم (١٨ / ٩٣) ، والترمذي (٢٤٢٦) ، وابن ماجه (٤١١٣) ، وأحمد (٢ / ١٩٧) ، (٢ / ٣٢٣ ، ٣٨٩ ، ٤٨٥) .

(٢) أحمد (٢ / ١٩٧) ، والحاكم (٤ / ٣١٥) في مستدركه ، قال الشيخ الألباني : ضعيف ، انظر : تخرىج المشكاة برقم (٥٢٤٩) ، وضعيف الجامع (٣٠١٥) . قوله : (السنة) : أى الجذب .

في قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا » .
أخرج الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« استحيوا من الله حق الحياء » . قلنا : يا رسول الله إنا لنستحيى والحمد
لله ، قال : « ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس
وما وعى البطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة
الدنيا فممن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء »^(١) . قال حديث
غريب .

في بيان زينة الدنيا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾^(٤)
الآية .

وننظر إلى هذا من السنة قوله عليه السلام : « إن الدنيا خضرة حلوة والله
مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون »^(٥) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله
لكم من زهرة الدنيا » . قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : « بركات
الأرض »^(٦) . أخرجهما مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى .

(١) أخرجه أحمد (٣٨٧ / ١) ، والترمذى (٢٥٧٥) ، والحاكم (٣٢٣ / ٤) ، والطبرانى (٢٤٦ / ٣) في الكبير ، (١٧٧ / ١) في الصغير ، وأبو نعيم (٢٠٩ / ٤) في الحلية ، والبيهقى (١٦٠٨) في المشكاة ، قال الشيخ الألبانى : حسن ، انظر : صحيح الجامع (٩٤٨) .

(٢) سورة الكهف : ٧ .

(٣) سورة الكهف : ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران : ١٤ .

(٥) مسلم (٥٥ / ١٧) ، والترمذى (٢٢٨٦) ، وابن ماجه (٤٠٠٠) ، وأحمد (٧ / ٣) ، (١٩ ، ٦١) .

(٦) البخارى (٣٢ / ٤) بمعناه ، ومسلم (١٤٣ / ٧) .

والمعنى أن الدنيا مستطابة في ذوقها ، معجبة بمنظرها كالتمر المستحلى المعجب للرائي ، فابتلى الله بها عباده ، لينظر من أحسن عملاً ، أى من أزهد فيها ، وأترك لها على ما تقدم . ولا سبيل للعباد إلى بعض ما زين الله إلا بقوته على ذلك .

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول فيما ذكر البخارى : اللهم إنا لا نستطيع أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه . فدعا الله أن يعينه على إنفاقه في حقه^(١) .

وهذا معنى قوله ﷺ : « فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس كان كالذى يأكل ولا يشبع »^(٢) ، وهذا هو المكثّر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له من الدنيا بل همه جمعها ، وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله ، فإن الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبية كما تقدم . وقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه .

(١) البخارى (٨ / ١١٦) .

(٢) سبق تخرجه .

في بيان قوله عليه السلام : « من رغب عن سنتي فليس مني »

روى البخارى ومسلم واللفظ للبخارى عن أنس قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - ﷺ - يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي - ﷺ - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأني أصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني »^(١) .

وأخرج مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال : أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه النبي ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا^(٢) .

وأخرج الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول عن سعيد بن المسيب قال : جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله غلبني حديث النفس فلم أر أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ : « وما تحدثك به نفسك يا عثمان ؟ » قال : تحدثني نفسي أن

(١) البخارى (٧ / ٢) ، ومسلم (٩ / ١٧٥ - ١٧٦) ، أحمد (٢ / ١٥٨) ، (٣ / ٢٤١) ، (٥ / ٤٠٩) ، والنسائي (٦ / ٦٠) .

(٢) البخارى (٧ / ٥) ، ومسلم (٩ / ١٧٦) .

قوله : (لاختصينا) الاختصاص من خصيت الفحل ، إذا سللت خصيته أى أخرجتها ، واختصيت إذا فعلت ذلك بنفسك ، وفعله بنفسه حرام ، فليس بمراد ، إنما المراد قطع الشهوة بمعالجة أو التبتل ، والانقطاع إلى الله تعالى بترك النساء ، أى لفعلنا فعل المخصى في ترك النكاح ، والانقطاع عنه اشتغالاً بالعبادة . والنوى حمله على ظاهره ، فقال : معناه لو أذن له في الانقطاع عن النساء وغيرهن من ملاذ الدنيا لاختصينا لدفع شهوة النساء ، ليكننا التبتل ، وهذا محمول على أنهم كانوا يظنون جواز الاختصاص باجتهادهم ، ولم يكن ظنهم هذا موافقاً ، فإن الاختصاص في آدمى حرام صغيراً كان أو كبيراً ، وما سبق أحسن لما فيه من حمل ظنهم على أحسن الظنون فليتأمل . انتهى قاله السيوطى انظر : حاشية السيوطى على النسائي (٦ / ٥٨ - ٥٩) .

أختصى ، قال : « مهلا يا عثمان فإن خضاء أمتي الصيام » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أترهب في رؤوس الجبال ، قال : « مهلا يا عثمان فإن ترهب أمتي الجلوس في المساجد ، وانتظار الصلوات » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أسبح في الأرض ، قال : « مهلا يا عثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني أن أخرج من مالي كله ، قال : « مهلا يا عثمان فإن صدقتك يوم يوم وتكف نفسك وعيالك ، وترحم المساكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن أطلق خولة امرأتى وأهاجر ، قال : « مهلا يا عثمان فإن الهجرة في أمتي من هجر ما حرم الله عليه أو هاجر إلى في حياتي أو زار قبري بعد موتي ، وإن مات وله امرأتان أو ثلاث أو أربع » ، قال : يا رسول الله نهيتني أن أطلقها فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاهما ، قال : « مهلا يا عثمان فإن الرجل المسلم إذا غشى أهله أو ما ملكت يمينه فلم يكن من وقته ولد كان له وصيف في الجنة ، فإن كان من وقته تلك ولد فمات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة ، وإن مات بعده كان له نوراً يوم القيامة » ، قال : يا رسول الله فإن نفسي تحدثني بأن لا أمس الطيب ، قال : « مهلا يا عثمان فإن جبريل أتاني بالطيب من الجنة غباً ، وقال : يوم الجمعة لا تتركه ، يا عثمان لا ترغب عن سنتي ، فمن رغب عن سنتي ، ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة »^(١) .

فصل

قد بان لك يا أخى بما تقدم بهذا الباب ، وبما تقدم من الأبواب أنه ليس

(١) إسناده مرسل ، والمرسل من أقسام الضعيف .

من الزهد ترك المباحات ولا تحريم الطيبات .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ ﴾ ^(١) .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ ^(٣) . الآيات في هذا كثيرة .

فإن قيل : روى عن جابر أنه قال : اشتهى أهلى لحماً فاشتريته لهم ، فمررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ما هذا يا جابر ؟ فأخبرته فقال : أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً جعله فى بطنه أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ ^(٤) . قيل له : هذا عتاب من عمر له على التوسع فى الدنيا وابتىاع اللحم والخروج عن جلف الخبز والماء كما رواه الترمذى عن عثمان وقد تقدم .

فإن تعاطى الطيبات من الحلال تستشرى بها الطباع وتستمر بها العادة ، فإن فقدتها استسلمت فى تحصيلها بالشبهات ، حتى تقع فى الحرام المحض بغلبة العادة ، واستشراء النفس الأمارة بالسوء ، فأخذ عمر الأمر من أوله ، وحماه من ابتدائه كما يفعله مثله .

وقد قال على رضى الله عنه حين أتى بالفالوذج : لا أحرمه ، أكره أن أعود نفسى ما لم تعتد .

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢) سورة المؤمنون : ٥١ .

(٣) سورة الرعد : ٣٨ .

(٤) سورة الأحقاف : ٢٠ .

قال القاضي أبو بكر بن العرى : والذى يضبط لك هذا الباب ، ويحفظ قانونه على الميزان ، يأكل ما وجد طيبا كان أو قفارا ، ولا يتكلف الطيب ، ويتخذ عادة ، فقد كان النبي ﷺ يشبع إذا وجد ، ويصبر إذا عدم ، ويأكل الحلوى إذا قدر عليها ، ويشرب العسل إذا اتفق له ، ويأكل اللحم إذا تيسر ولا يتعهده أصلا ، ولا يجعله ديدنا . ومعيشة النبي ﷺ معلومة ، وطريقة الصحابة منقولة ، فأما اليوم عند استيلاء الحرام ، وفساد الخطام ، فالخلاص عسير فالله يهب الخلاص ، ويعين على الخلاص برحمته إنه ولى النذير ذكر المسألة التى هى كالتممة للكتاب ، لا ينبغي تركها بل يجب فهمها وتعلمها ، وما للعلماء فيها ما رويناه أن الإمام أبا عمر بن عبد البر رحمه الله حين بلغه أن أقواما بشاططه عابوه يأكل طعام السلطان وقبول جوائزهم فقال :

قل لمن يذكر أكل من طعام الأمراء
أنت من جهلك هذا فى محل السفهاء

لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين ، وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضين هو ملاك الدين .

فقد كان زيد بن ثابت وكان من الراسخين فى العلم يقبل جوائز معاوية وابنه يزيد .

وكان ابن عمر مع ورعه وفضله يقبل هدايا صهره المختار بن أبى عبيد الله ويأكل طعامه ، ويأخذ جوائزه ، وكان المختار غير مختار .

وقال عبد الله بن مسعود ، وكان قد ملئ علما ، لرجل سأله فقال : إني لى جار يعمل بالربا ولا يجتنب الحرام فى مكسبه ، يدعوني إلى طعامه أفأجيبه ، قال نعم : لك المهنتا وعليه المأثم ما لم تعلم بعينه حراما .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه حين سئل عن جوائز السلاطين فقال : لحم ظبى ذكى .

وكان الشعبى وهو من كبار التابعين وعلمائهم يؤدب بنى عبد الملك بن

مروان ويقبل جوائزه ويأكل طعامه .

وكان إبراهيم النخعي وسائر علماء الكوفة والحسن البصري مع زهده وورعه وسائر علماء البصرة وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبان بن عثمان والفقهاء السبعة بالمدينة حاشا سعيد بن المسيب يقبلون جوائز السلطان .

وكان ابن شهاب يقبلها ويتقلب في جوائزهم ، وكانت أكثر كسبه ، وكذلك أبو الزناد ، وكان مالك وأبو يوسف والشافعي وغيرهم من فقهاء العراق والحجاز يقبلون جوائز السلاطين والأمراء .

وكان سفيان الثوري مع ورعه وفضله يقول جوائز السلطان أحب إلى من صلة الإخوان ، لأن الإخوان يمنون والسلطان لا يمن . ومثل هذا عن العلماء الفضلاء كثير وقد جمع فيه الناس أبواباً .

ولأحمد بن خالد فقيه الأندلس وعالمها كتاب ، حمّله على وضعه وجمعه طعن أهل بلده عليه في قبول جوائز عبد الرحمن الناصر إذ نقله إلى المدينة بقرطبة ، وأسكنه داراً من دور الجامع ، وقربه وأجرى عليه الرزق من الطعام والإدام والنأمن وله ومثله في بيت المال حظ والمسئول فيه عن التخليط هو السلطان .

كما قال عبد الله بن مسعود لك المهناً وعليه المأثم ما لم تعلم الشيء بعينه حراماً . ومعنى قول ابن مسعود هذا قد أجمع العلماء عليه ، من علم الشيء بعينه حراماً مأخوذاً من غير حله ، كالخبزة وشبهها من الطعام أو الدابة ، وما كان مثل ذلك كله من الأشياء المعينة غصباً أو سرقة أو مأخوذة بظلم بين لا شبهة فيه فهذا الذي لم يختلف أحد في تجريمه وسقوط عدالة آكله وأخذه وتملكه ، وما أعلم أحداً من التابعين تورع عن جوائز السلطان إلا سعيد بن المسيب بالمدينة ، ومحمد بن سيرين بالبصرة ، وهما قد ذهباً مثلاً في التورع ، وسلك سبيلهما في ذلك أحمد بن حنبل ، وأهل الزهد والورع والتقشف رحمة

الله عليهم أجمعين والزهد في الدنيا من أفضل الفضائل ، ولا يحل لمن وفقه الله تعالى وزهد فيها أن يحرم ما أباحه الله منها ، والعجب من أهل زماننا يعيرون الشبهات ، ويستحلون المحرمات ، ومثالهم عندي كالذين سألوا عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن المحرم يقتل الجراد والقمل فقال للسائلين له : من أين أنتم ؟ قالوا من أهل الكوفة ، قال : تسألون عن هذا وأنتم قتلتهم الحسين بن على رضى الله عنه .

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « ما أتاك من غير مسألة فخذة وتموله »^(١) . وروى أيضا هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « ما أتاك من غير مسألة فكله وتموله » .

وروى أبو سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله عن النبي ﷺ بمعناه ، وفي حديث أحدهما « إنما هو رزق رزقكم الله » ، وفي لفظ بعض الرواة : « لا يرد على الله رزقه » .

وهذا كله مركب مبنى على ما أجمعوا عليه ، وهو الحق فمن عرف الشيء بعينه أنه لا يحل . قلت : هذا آخر كلام أى عمر رحمه الله ، وقد أشار الخطاين أبو سليمان في كتاب المعالم له على شرح السنن لأبى داود عند كلامه على قوله عليه السلام : « الحلال بين والحرام بين »^(٢) إلى ذلك ؛ فقال آخر شرح هذا الحديث : ويدخل في هذا الباب معاملة من كان في ماله شبهة أو خالطه ربا فإن الاختيار تركها إلى غيرها ، وليس في ذلك بمحرم علينا ما لم يتيقن أن عينه حرام ومخرجه حرام .

(١) البخارى (١٥٣ / ٢) بمعناه ، ومسلم (١٣٤ / ٧) ، والنسائى (١٠٤ / ٥) ، (١٠٥ / ٥) ، وأحمد (٤٥٢ / ٦) .

(٢) البخارى (٢٠ / ١) ، ومسلم (٢٧ / ١١) ، وأبو داود (٣٣٢٩) ، والترمذى . (١٢٢١) ، والنسائى (٢٤٢ / ٧) ، وابن ماجه (٣٩٨٤) ، وأحمد (٢٦٧ / ٤) ، (٢٦٩) .

وقد رهن رسول الله ﷺ درعه من يهودى على أصوع من شعير أخذها لقوت أهله^(١) ، ومعلوم أنهم يربون فى تجارتهم ، ويستحلون أثمان الخمر ، ووصفهم الله تعالى بأنهم سماعون للكذب أكالون للسحت ، فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحرم ما أحل الله من غير علم ولا بصيرة .

ومما يتعلق بما تقدم ويؤكدّه ويزيده تقريراً قول هشام بن عمار : جئت مالك بن أنس بالمدينة وهو جالس فى وسط فرش قد غرق فيها ، وعلى رأسه خصيان معهم المذاب يذبون عنه ، فقلت يا أبا عبد الله حدثنى ، فقال : أقيموه ، قال : فحملت من بين يديه ، فالتفت إليه ، فقلت : يا أبا عبد الله بالذى تسأله أن يرحم ذل موقفك بين يديه إلا ما رحمت ذل موقفى بين يديك ، قال : ردوه ، فحدثنى تسعة عشر حديثاً رضى الله عنه . وقال الإمام أبو حامد دواء المآثر والمحامد فى كتاب منهاج العابدين له : فإن قيل فما يقول فى قبول جوائز السلاطين فى هذا الزمان : فاعلم أن العلماء اختلفوا فيه فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أخذه ، وقال آخرون : لا يحل أن يؤخذ ما لا يتيقن أنه حلال ، لأن الأغلب فى هذا العصر على السلاطين الحرام ، والحلال فى أيديهم معدوم عزيز ، وقال قوم : إن صلات السلاطين تحل للغنى والفقير ، إذا لم يتحقق أنها حرام وإنما التبعة على المعطى ، قالوا لأن النبى ﷺ قبل هدية المقوقس ملك الإسكندرية واستقرض اليهودى مع قول الله تعالى : ﴿ أَكَالُونِ لِلْسُّحْتِ ﴾^(٢) .

وقد أدرك جماعة أيام الظلمة فأخذوا ، منهم أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم .

وقال آخرون : لا يحل من أموالهم شئ لغنى ولا فقير ، إذ هم موسرون

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة المائدة : ٤٢ .

بالظلم ، والغالب من حالهم السحت والحرام للغالب فيستلزم الاجتناب .
وقال آخرون : كل ما لا يتقص أنه حرام فهو حلال للفقير دون الغنى ،
إلا أن يعلم الفقير أن ذلك عين الغصب فليس له أن يأخذه إلا ليرده على
مالكه ، ولا حرج على الفقير فله أخذها بلا ريب ، وإن كان من فيء أو خراج
أو عشير ، للفقير فيه حق ، وكذلك لأهل العلم قال علي بن أبي طالب رضي
الله عنه : من دخل الإسلام طائعا وقرأ القرآن ، فله حله في بيت مال المسلمين
كل سنة مائتا درهم . وروى مالك بن دينار إن لم يأخذها في الدنيا أخذها
في الآخرة ، وإذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذ عين حقه ، وقالوا : وإذا
كان المال مخلطا بمال مغضوب ، ولا يمكن تمييزه أو غصبا ولا يمكن رده على
صاحبه ، أو ذريته ، فلا يخلص للسلطان منه إلا أن يتصرف به ، وما كان
الله ليأمره بالصدقة على الفقير ، وينهى الفقير عن قبوله ، أو يأذن للفقير في
القبول وهو عليه حرام فإذا للفقير أن يأخذ إلا عين الغصب الحرام فليس له
أخذه . وقال أبو عبد الله محمد المالكى في أحكام القرآن له : وأما أخذ الأرزاق
من الأئمة الظلمة فلذلك ثلاثة أحوال :

الأولى : إن كان جميع ما في أيديهم مأخوذا على موجب الشريعة فجائز
أخذه ، وقد أخذت الصحابة والتابعون من يد الحجاج وغيره .

الثانية : وإن كان مختلطا حلالا وظلما كما في أيدي الأمراء اليوم فالورع
عدم الأخذ ، ويجوز للمحتاج أخذه هو خالص في يده . قال مسروق : ومال
جيد حلال قد وكله فيه رجل ، فجاء اللص يتصدق ببعض ما سرق إذا لم
يكن معروفا بعينه ، وكذلك لو باع أو اشترى كان العقد صحيحا لازما ،
وإن كان الورع التنزه لأن الأموال لا تحرم بأعيانها وإنما تحرم بجملتها .

الثالثة : وإن كان ما في أيديهم ظلما حراما فلا يجوز أن يؤخذ من أيديهم ،
أو كان ما في أيديهم من المال مغضوبا غير أنه لا يعرف له صاحب ولا

مطالب فهو كما وجد في أيدي اللصوص وقطاع الطريق ، تجعل في بيت المال
وينتظر طالبه بقدر الاجتهاد ، فإذا لم يعرف صاحبه صرفه الإمام إلى مصالح
المسلمين قلت : هذا ما وقفت عليه في هذه المسألة من أقاويل العلماء ، وكلهم
مجمع على أن الشيء إذا تعين وكان حراما محضا لا يحل تناوله ولا أخذه ،
وما كان على غير ذلك فالورع الترك . وقد قدمنا هذا المعنى في الباب الثاني
عشر بما فيه كفاية وزدناه بيانا في هذه المسألة الموعد بذكرها هناك . والحمد
لله على ذلك لا رب سواه ، ولا معبود إلا إياه ، سبحانه وتعالى ، والله الحمد
والمنة والشكر على ما أولى وأسدى من النعم ، والفضل على ما فهم وعلم ،
وصلى الله وسلم على محمد عبده ونبيه ومجد وعظم . تم الكتاب بحمد الله وعونه
والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن
ذكره الغافلون .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الناشر
١١	مقدمة المحقق وتشمل :
	بين يدي الكتاب - الزهد بين الاتباع والابتداع -
	كيفية الزهد وأقسامه - درجات الزهد - المؤلفات في
٢٥-١٣	الزهد .
٢٧	بداية كتاب الزهد
٢٩	الباب الثامن والعشرون : الزهد وبيانه .
	الباب التاسع والعشرون : فيما يحمل على التملك في
٣٥	الدنيا والزهد فيها وذلك في :
٣٥	[١] قصر الأمل .
٣٦	[٢] ذكر الموت .
٣٧	[٣] زيارة القبور .
٣٩	الباب الموفى الثلاثين في : فضل الزهد وثمرته .
	الباب الحادى والثلاثون : في أحوال من زهد في
٤٠	الدنيا وهى ست :
٤١-٤٠	[١] المقال . [٢] اللباس . [٣] المطعم .
	[٤] الصبر على الفاقة والحاجة . [٥] ترك
٤٣-٤١	السؤال . [٦] الخمول .
	الباب الثانى والثلاثون : ذكر فيه طرفا من زهد النبى ﷺ
٤٤	في عيشه ومطعمه وملبسه ومركبه .

- الباب الثالث والثلاثون : ذكر فيه طرفا من زهد
 ٤٩ صحابته رضى الله عنهم .
- * تفنيد الشبهة التى دارت حول الصحابى
 ٥٣ الجليل عبد الرحمن بن عوف .
- الباب الرابع والثلاثون : فى فضل من أخذ المال بحقه
 ٥٧ وأنفقه فى حقه والتماذج على ذلك .
- الباب الخامس والثلاثون : فى بيان قوله ﷺ :
 ٦٢ « لكل أمة فتنه وفتنة أمتى المال » .
- الباب السادس والثلاثون : فى حقارة الدنيا وهوانها
 ٦٤ على الله تعالى .
- الباب السابع والثلاثون : فى بيان الدنيا وفيما جعل
 ٦٧ مثلا لها .
- فصل : فى ضرب الله تعالى المثل فى الدنيا بالماء
 ٦٨ المنزل من السماء ببدائع تسع .
- الباب الثامن والثلاثون : فى أن الدنيا سجن المؤمن
 ٧١ وجنة الكافر .
- الباب التاسع والثلاثون : فى قوله عليه الصلاة
 ٧٢ والسلام : « ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا » .
- الباب الموفى أربعين : فى بيان قوله عليه السلام :
 ٧٤ « من رغب عن سنتى فليس منى » .
- فصل : ليس من الزهد ترك المباحات ولا تحريم
 ٧٥ الطيبات .
- جوائز السلاطين .
 ٧٧